

مُعجَم البابطين

لشعـــراء العربيـــة في عصر الدول والإمارات

656 - 1215هـ / 1258 - 1800م

نموذج تجريبي

إعـــداد

ماجد الحكواتي عدنـان الجابـــر

مراجعة وإشراف

عبدالعزيز الســريع

الكويت 2010



لشعراء العربية في خمسة قرون

1301 - 1800م

التصميم والمتابعة

محمد العلي

الإخراج الداخلي

قسم الإنتاج في الأمانة العامة للمؤسسة

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 – فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

تـصـديـر

إن اتجاه مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بعد فترة وجيزة من إنشائها إلى إعداد المعاجم الشعرية كان انتقالاً بعملها من المحدود والجزئي إلى الأساسي والشامل، ولم يغب عن بالنا ما يقتضيه هذا الاتجاه من إمكانات ضخمة وكفايات نادرة، وجهود متواصلة، ولكننا ارتضينا سلوك هذا السبيل الشاق إيماناً منا بأن المعاجم هي ذاكرة الأمة التي تبقي الساحة الشعرية بكل متنوعاتها حاضرة، يتزود منها المبدع بما يفتح أمامه آفاقاً من الإبداع، ويستنتج الناقد من خلالها التقويم السليم لسماتها وتفاعلاتها. ويزداد من خلالها المواطن العربي يقيناً بثراء أمته وغنى مخيلتها.

ولقد أنجزت المؤسسة في العقدين الفائتين معجمين يستوعبان الحركة الشعرية العربية في العصر الحديث بكل تفاصيلها وبكل امتداداتها المكانية وتفرعاتها شملت الراحلين من الشعراء والأحياء منهم. وكان لهذا الإنجاز وقع طيب في الساحة الثقافية العربية، ولكن هذا الإنجاز الكبير لم يكن منتهى طموحنا، بل ارتأينا أن من واجبنا القومي أن نتابع عملنا في رصد الحركة الشعرية على امتداد عصورها المتطاولة ليكون هذا النهر المتدفق ملكاً للمواطن العربي يجد في مرآته قسمات أمته، وروحها الخفية، وشعلتها الإبداعية التي لم تخمد وهي تواجه رياحاً صرصراً عاتية.

فأعلنا فور انتهاء احتفالنا بمعجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين عن معجم جديد يتناول حركة الشعر العربي في خمسة قرون بدءاً من مفتتح القرن الرابع عشر الميلادي وحتى ختام القرن الثامن عشر الميلادي، هذه القرون التي فقدت فيها الأمة العربية سلطة القرار ولكنها لم تفقد سلطة المعرفة والإبداع، ونحن ندرك أن هذا العصر الوسيط ما يزال بكراً لم يرتد المستكشفون إلا أطرافاً محدودة منه، وأن معظم النتاج الثقافي في هذا العصر ما يزال مخطوطاً ومتناثراً في المكتبات و في خزائن الأفراد على امتداد العالم، وأن الإلمام بشعراء هذا العصر هو مغامرة وتحد كبيران، وقد قبلنا هذا التحدي وانكفأنا على العمل الجاد في سبيل إبراز الحركة الشعرية في هذا العصر بكل تجلياتها وأسرارها.

وإذا كان أول الغيث قطر ثم ينهمر، فقد أخرجنا هذا المعجم التجريبي الذي يضم ثلاثين شاعراً من شعراء العصر الوسيط (القرون الخمسة) يمثلون مختلف الأبعاد المكانية والزمانية والاجتماعية ليكون الثمرة الأولى التي يتذوقها أهل الكفاية والرأي في أرجاء الوطن العربي، يدلون بآرائهم في المنهج الذي سيسير على ضوئه المعجم القادم لتكون الثمار القادمة أكثر حلاوة ونضجاً، ونحن في المؤسسة لسنا جزيرة منعزلة بل نحن امتداد للفضاء العربي نستوحي في عملنا كله روح هذه الأمة العظيمة، ونستهدي بأبصار مثقفيها وبصائرهم. وكلنا أمل أن يرشدونا إلى ما هو الأفضل ليكون عملنا إذ يستنطق الزمن باقياً على مدى الزمن.

رئيس مجلس الأمناء

عبد العزيز سعود البابطين

****

مقدمة

كان إعلان السيد رئيس مجلس الأمناء وفور الانتهاء من إعداد «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» عن معجم جديد يرصد الحراك الشعري في خمسة قرون بين عامي 1301 - 1800م خطوة جديدة في مشروع المؤسسة الكبير: إضاءة المشهد الشعري العربي كاملاً بدءاً من العصر الحاضر ونزولاً إلى غيابة العصر الجاهلي، وهو مشروع يحفظ على الأمة ذاكرتها الشعرية ويرسم صورة للوضع العربي بكل تجلياته من خلال وجدان الشعراء العرب، ومنذ ذاك الإعلان بدأ العمل في جمع المادة الشعرية المتعلقة بعصر المعجم الجديد آخذين في الاعتبار العقبات التي تعترض سبيل هذا المشروع، ومن أبرزها أن معظم نتاج ذاك العصر ما يزال مخطوطاً وموزعاً بين المكتبات والمتاحف على امتداد العالم، وأن ما عرف عن تلك الفترة الزمنية ما يزال محدوداً وما يزال الظلام مخيماً على مساحة كبيرة من هذا العصر، وأن هناك فكرة مسبقة عن هذه المرحلة رسخها البعض في أذهان الدارسين من خلال سبر محدود لنتاجها وهي أن هذا العصر هو عصر انحطاط أو بلهجة مخففة عصر انحدار، ونهوضاً بمهمة ثقيلة هي تقديم لوحة شاملة عن حقبة زمنية واسعة في التاريخ الشعري العربي: ما كشف منها، وما بقي إلى الآن متوارياً، ليكون الحكم على هذه الحقبة عادلاً باستناده إلى الوقائع كافة لا إلى وقائع منعزلة.

وبعد أن قطعنا شوطاً طويلاً في جمع مادة المعجم، كان علينا أن نتصدى لمهمة أخرى وهي كيفية تحرير هذه المادة الخام في نسق معين تقدم من خلاله إلى القارئ.

وحتى تكون خطواتنا متزنة فكرنا بإعداد معجم تجريبي يكون صورة مصغرة عن المعجم الكبير، وها هو بين يديك وقد حرصنا أن يكون عينة نموذجية لما تضمه الحركة الشعرية في ذاك العصر من تنوعات، وقد ضم هذا المعجم ثلاثين شاعراً توزعتهم مختلف بقاع المكان العربي والإسلامي، ومختلف أزمنة القرون الخمسة، وكان بينهم من تربع على قمة الهرم الاجتماعي ومن استقر في أدناه، ومن اتخذ من الشعر حرفة، ومن بقي الشعر لديه هاجساً مؤقتاً، من خلّف وراءه حصاداً كبيراً من الشعر، ومن لم يبق من إبداعه إلا نتف متناثرة، من حفلت الكتب بالحديث عن مفردات سيرته ومؤلفاته، ومن مرّ فيها مروراً عابراً، وألحق هذا المعجم بثمانية

فهارس تغطي مختلف الاهتمامات، وزودنا فهارس الأعلام والأماكن والمصطلحات بشروح مبسطة تيسر فهم الترجمة والنص لمن ليس له معرفة بذلك، (وإن كنا قد أرجأنا هذه الشروح عن بعض الأعلام والأماكن إلى فرصة قادمة).

وكان هناك دوافع متعددة وراء إصدار هذا المعجم، أولاها أن المؤسسة حرصت منذ قيامها ألا تكون مغلقة على نفسها بل ظلت منفتحة على المثقفين العرب أينما وجدوا وكيفما كان رأيهم.

وكما كان للباحثين العرب دور كبير في إنجاز معجميها السابقين بحيث أصبحا صورة صادقة عن حركة الشعر في العصر الحديث بلوحتيها: لوحة الحاضرين ولوحة الغائبين. فإن المؤسسة ما تزال حريصة على تقليدها الراسخ بأن يكون للمثقفين العرب دورهم ورأيهم في أي مشروع من مشاريعها لكي تختزن هذه المشاريع كل أحلام المثقفين العرب وكل خبراتهم. وحتى يكون المعجم الجديد صورة شفافة عن الإبداع الشعري في العصر الوسيط، ذلك العصر الذي ما تزال الكثير من صفحاته غائبة عنا.

والأمر الثاني أن المؤسسة في مسيرتها تجنبت دائما المغامرة والخطوات غير المحسوبة، وحرصت على التأني – وإن تطلب وقتاً أطول – فإنضاج أي فكرة لا يكون إلا على نار هادئة وإلا فمصيرها الاحتراق، وهذا المعجم التجريبي هو عينة وضعت للاختبار، لأن المنهج العلمي في أي مجال يقوم على التجريب وصولاً إلى القوانين المستقرة.

والأمر الآخر أن المؤسسة – وإن كانت قد امتلكت خبرة لا بأس بها في التعامل مع المعاجم الشعرية فإنها ما تزال تتطلع إلى مزيد من الخبرة، بالإضافة إلى أن لكل عصر من العصور مواضعاته الخاصة به، والتي تتطلب أساليب قد لا تتطابق مع أساليب عصر آخر.

والمؤسسة وهي مقدمة على مرحلة تحرير المادة الخام تراودها أسئلة كثيرة لم تحسم بعد، وهي ترغب من خلال هذا النموذج المقترح – وهو من عمل أفراد – أن يعرض هذا المعجم مع الأسئلة التي يثيرها على أوسع مدى من المتخصصين بالشعر في العصر الوسيط في أرجاء الوطن العربي ليشاركونا الإجابة عن هذه الأسئلة علنا نتوصل من خلال تجاذب الآراء إلى الأفضل والأنقى والأصوب.

ولعل من أبرز هذه الأسئلة:

ما مواصفات الشاعر الذي يحق له الدخول في المعجم سواء من ناحية الكم الشعري، أو الموضوع الشعري، أو المستوى الفني للإبداع؟

وما النقاط الأساسية التي يجب أن تحتويها سيرة الشاعر في المعجم؟ أتكفي النقاط التي ذكرت في تراجم المعجم التجريبي أم أن هناك نقاطاً أخرى يجب أن تذكر؟ وما الموقف من اختلاف المراجع في اسم الشاعر وفي سنوات ميلاده ووفاته وفي أمور أخرى، أتذكر هذه الاختلافات أم يكتفى بترجيح أحدها؟ وهل يُقبل الشاعر دون ترجمة إذا عرف أنه في عصر المعجم؟

وفي جانب المادة الشعرية المخصصة للشاعر تتوارد بعض الأسئلة المهمة تتعلق بالحجم المناسب الذي يعطى للشاعر المشهور وللشاعر المتوسط، أتذكر القصائد كاملة أم يقتطع منها؟ وما الموقف من الاختلالات التي ترد في بعض النصوص، أتبقى على حالها مع الإشارة إليها أم تعدل؟ وهل توضع عناوين للقصائد؟ مع أن معظم النصوص في ذلك العصر لم تذكر لها عناوين، وما الموقف من توصيف النتاج الشعري للشاعر، أهو ضروري أم لا لزوم له؟ هذه بعض الأسئلة المعلقة التي ترافق هذا المعجم المقترح، وقد ترد أسئلة أخرى في أذهان بعض المتخصصين لم نشر إليها، وهذه الأسئلة تطرح في حلبة النقاش للوصول إلى حلول تُخرج العمل من فرديته ومن محدوديته ليكون عملاً يحمل بصمات الجميع، ويتطلع إلى أن يحقق أحلام وآمال الجميع.

وكنا قد عرضنا خطة المعجم منذ عدة أشهر على عدد من أهل الخبرة والاختصاص في عدد من الأقطار العربية بغية الاستفادة من آرائهم، وقد وصلتنا إجابات من بعضهم تحمل في طيها الكثير من الحكمة والصواب، ولابد لنا أن نقدم الشكر الجزيل لكل من أبدى اهتماماً بهذا المشروع الثقافي الكبير ومنحنا من وقته ومن خبرته ما سيكون للمعجم سنداً وسداداً، نذكر منهم من جمهورية مصر العربية كل من الأساتذة: د. حمدي السكوت، د. محمد زكريا عناني، د. محمد زغلول سلام، د. محمد فوزي أمين ود. محمد فتوح أحمد، ومن تونس كل من الأساتذة: المرحوم محمد صالح الجابري، د. أحمد الطويلي ود. توفيق قريرة، ومن سورية: د. علي أبوزيد، ومن الأردن: د. سعود محمود عبدالجابر، ومن البحرين: د. إبراهيم عبدالله غلوم.

الأمين العام

عبد العزيز السريع

✱✱✱✱

إبراهيم الحاريصي

- ١١٨٥هـ / - ١٧٧١م

- إبراهيم الحاريصي العاملي.
- ولد في قرية حاريص «جنوبي لبنان».
- تعلّم في مدرسة «جويّا».
- يُستقى من شعره أنه كان على اطلاع واسع وعلم بالوقائع التاريخية، ومعرفة برجال التاريخ.

الإنتاج الشعري:

- على غزارة إنتاجه الشعري لم يجمع شعره في ديوان، وقد نشرت له بعض القصائد في كل من: «معجم شعراء الحسين»، «أعيان الشيعة»، «مستدركات أعيان الشيعة».

مصادر الترجمة:

- جعفر الهلالي: معجم شعراء الحسين - مؤسسة أم القرى - بيروت (ط١) ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- حسن الأمين: مستدركات أعيان الشيعة - دار التعارف - بيروت ١٩٨٧.
- عبدالمجيد الحر: معالم الأدب العاملي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري - دار الآفاق الجديدة - بيروت (ط١) ١٩٨٢.
- محسن الأمين: أعيان الشيعة - دار التعارف - بيروت (ط٥) ١٩٩٨.

ما بال نعمى

في مدح ناصيف نصار

ما بال نُعمى أعرضتْ ما بالها؟
بعد الدنوّ وما عصت عُذّالَها
لم ترعَ سالف عشرتي ومودتي
مَعْها وحرصي أن تنال منالها
وتمتُّعي قبل الكرى بحديثها
وتطلُّبي بعد الرقاد خيالها
هجرتْ أسيرَ جفونها لا عن قِلًى
منه وجــرَّت للجفا أذيالها
يا ليت شعري من أراه مُخبري
عمّا لها مني بدا فبدا لها
لما أصاخت للوشاة وأعرضتْ
عني وكنتُ يمينها وشمالها
وكأنها نسيت عهودي وانتقت
غيري وما يومًا هتكتُ حِجالها
واللهُ يعلم أن نُعمى قد بدا
فيها المشيب وما سئمتُ وِصالها
بوّأتُها قلبي ولم أطلب بها
بدلاً وما صرمتْ يدايَ حبالها
وبذلت مجّانًا لها روحي وما
رُمت الملال وإن رأيت مَلالها
وجعلتها لي قِبلةً لمّا أملْ
عنها وإن عنّي العذولُ أمالها
ولطالما عنها كشفتُ ملمّةً
لولا حسامي لم تظنَّ زوالها
أجنيتُ ذنبًا فاقتضى أن لا أرى
في شرع نعمى حسنها وجمالها

☆☆☆☆

يا لَلرجال لمحنةٍ لا يُرتجى
غيرُ ابن نصّارٍ يحلّ عقالها
«ناصيفُ» من يحمي الثغور ومن به
أبدت سماء المكرمات هلالها
نَدْبٌ له ألقى الزمان قيادَه
لو طاولته الشامخات لطالها
ويــدٌ مقبَّلة البنان كريمةٌ
مدّت على المستضعفين ظلالها
شكر الإلــه فعاله في غارةٍ
شَعْوا أرى خير المآل مآلها
فسرى الصباحَ بفتيةٍ مشهورةٍ
علمَ العزيزُ صلاحَها فأدالها
شُوسٌ تمدّ من السيوف قصارها
يومَ الوغى ومن الرماح طوالها
لا ينثني عمّا يحاوله من الـ
ـعليا وإن بلغت بها آجالها

تجفو لـدى كسب الثنا أرواحها

وتـعـاف فـي نـيـل المـنـى أمـوالـهـا

سارت على اسم الله غير مطيعةٍ

أهـواءهـا يـا لـلـعـشـيـرة يـا لها

تـهـوي بها نحو الـطـراد سوابقٌ

تَـخِـذت غبار الـدارعـين جِلالها

جُـرْدٌ تقول العاصفات إذا غدت

هـذي بناتي مـن يجول مَجالها

مـا أُطـلـقـتْ فـي غـارةٍ ثـم انثنت

إلا وبـلّـغـتِ الـهـنـا أبـطـالـهـا

وافى بها في يوم «تربيخا» وقد

جاست خيولُ الدارعين خلالها

طافوا عليها بـالـصـوارم والقنا

فكأنـهـم قـطـعُ الـغـمـام حِيالها

فسطا ونـادى لا فـرارَ فـأدبرتْ

تـلـك الجـمـوع ونـالـهـا مـا نالها

عافت هنالك خيلها وسلاحها

والرعبُ عن تلك السروج أمالها

يا عصبةً رأتِ الجميل وما وفت

وبـنـت عـلـى نِـيّـاتـهـا أفـعـالـهـا

وتعمَّدت سفك الدماء وما رعت

سـنَنَ الـنـبـيّ حـرامـهـا وحـلالـهـا

أنـسـيـتـمُ أيـامَ «سـخـنـينَ» التي

لم يُنسكم طـولُ المدى أهوالها

جافت جفونُ كُماتنا طيبَ الكرى

فـيـهـا وعـافـت عـذبـهـا وزلالـهـا

ألقت على «ابن العظم» كلَّ عظيمةٍ

فــرأى أشــدَّ نـكـايـةٍ مـا نـالـهـا

و«الصقرُ» لولا الخوفُ من عقباننا

ما أزمعت عن أرضكم ترحالها

أفـمـا أبـحـنـا فـي الـعـراك غنيمةً

أغـنـامـهـا وخـيـولـهـا وجـمـالـهـا

حتى خلت لكمُ البلاد وأوترت

مـن كـان يبغي حربها ونـزالـهـا

يُبلي الجديدان الصفا وحقوقنا

تـبـقـى وإن حـاولـتـمُ إبـطـالـهـا

يـا فـتـنـةً تـأبـى الـعـقـول وقـوعَـهـا

ألقت على متن الـهـدى أثقالها

فيها ذهـابُ الـديـن والـدنـيـا ومـا

يسطيع غيرُ «أبـي سعيدَ» زوالها

****

قلعة الشقيف

مـا «الـشـقـيـفُ» الصلد إلا جنّةٌ

ولـنـا قـصـرٌ بـأعـلاه اسـتـنـارْ

ليس يـدنـو منه فـي عِـظْـم البِنا

قـصـرُ غـمـدانَ ولا عظم الجدار

تـنـظـر المـــــرآةَ فـيـه فـتـرى

فـوقـك الـنـهـرَ تـراءى بـانـحـدار

مـا رأيـنـا قـبـل هــذا جــدولاً

فـوق قصرٍ شامخٍ في الجـوّ طار

لا ولا قـصــرٍ كــهــذا أنــه

فَـلَـكٌ يـزهـو ولـكـنْ لا يُـدار

زيـنـةُ الـدنـيـا عـلـى أرجـائـه

تـزدهـي فـي كـل نـحـوٍ كالفنار

نـقـشُـهـا مـؤتـلـفٌ مـخـتـلـفٌ

في ابيضاضٍ واحمرارٍ واخضرار

شـامــخٌ يـــأوي إلـيــه أســدٌ

ذو افـتـراسٍ واقـتـنـاصٍ وابـتـدار

****

صبٌّ صبا

في مدح علي الفارس

رفقًا بـذي قلـبٍ عليك مقلقلُ
متخشّعٌ لـك فـي الـورى متذلّلُ
صـبٌّ صبا من وجـده حتى غدا
مِـثْـلَ الخِـلال ومـا صبا للعُذّل
هـل زورةٌ فيها الـشـفـاء لـدائه
تُـغـنـيـه عــن مـاضـيـه بالمستقبل
طـال الـبـعـاد ومـا رثـيـت لما به
حـتّـامَ يشكو مُـرَّ طعم الحنظل
يامن سمحتُ لها بروحي في الهوى
أمـن المـودة أن أجـود وتبخلي
وبكل يـومٍ عـن قِـسـيّ حواجبٍ
أرمى فلا تُخطي سهامُك مقتلي
نفسي الفداء لوجهك الزاهي الذي
هـو كـالـهـلال يـلـوح للمتأمِّل
ولمبسمٍ فَـلْـجٍ بـه عـذب اللَّمى
من دونه عذبُ الرحيق السلسل
ولـــوردة الخـدّ الـتـي مَـن شامها
ذاب احـتـراقًـا بـالـغـرام المشعل
ولأعــــينٍ تــركــيّــةٍ ريمــيّــةٍ
واهًـا على تلك العيون الـغُـزَّل
يـا منيةَ الـعـشـاق لـم تـبقَ قـوًى
منـي وقــلَّ تـصـبُّـري وتحـمُّـلي
حتى متى أشكو تباريحَ الجوى
وأبـيـتُ فيك طـويـلَ لـيـلٍ أليل
والـدهـرُ يـجـفـونـي ويـعـلـم أنـه
لي من بني صعبٍ أخو العليا «علي»
أعني سلالةَ أحمدَ الشهم الذي
مازالَ صدرَ الجيش صدر المحفل
سامي الفخار أبو حسينٍ والذي
أفـعـالـه مـعـروفـةٌ لـم تجُـهَـل
ماضي العزيمة دون سطوة بأسه
في الروع سطوةُ كل ليثٍ مُشبِل

تُـغـنـيـك أيـسـرُ قـطـرةٍ مـن كفّه
إن جـئـتَـه فـي كـل عــامٍ مُمـحِـل
ورثَ الـريـاسـة عـن أبـيـه وجَـدّه
وكـذا الـريـاسـةُ آخـرٌ عـن أول
رجـــلٌ إذا ألـفـيـتَـه ألـفـيـتـه
في الضيق رحبَ الصدر رحب المنزل
وإذا بـدت نـارُ الـوطـيس رأيتَـه
يغشى القِراع على أغـرَّ محجَّل
والخيـلُ نـاكـصـةٌ عـلـى أعقابها
والبِيض تلمع في ظلام القسطل
والسُّمْر مصدرها النحور ووردها
ودمُ الفوارس فاضَ فيضَ الجدول
والـهـامُ طـائـرةٌ وكـل مـدجَّـجٍ
رعـشُ الـفـؤاد عن القتال بمعزل
والمـوتُ مـدَّ على الكُماة لـواءه
ويـقـول ليس الــوِرد إلا منهلي
وتــرى عـلـيّـاً عـنـد ذلـك باسمًا
فـكـأن غـانـيـةً عـلـيـه تجتـلـي
يسطو ولم يثنِ العِنان ولم يخف
جبنًا وينقضّ انقضاضَ الأجدل
بمـهـنّـدٍ صـافـي الحـديـد وعـزمـةٍ
أمضى وأقطع من غِـرار المنصل
سيفٌ صقيلٌ مـا انتضاه بوقعةٍ
إلا انثنى بالنصر والفتح الجلي
يـا أيها المولى الجليل ومـن بنى
بيتًا على هـام الـسِّـمـاك الأعـزل
يا بنَ الكرام السابقين إلى العلا
وهـمُ رجـا وغـيـاث كـلِّ مؤمِّـل
خذها عـروسًـا لا يمـلّ ضجيعها
منها وقد جاءتك ترفل في الحُلي

مـأنـوسـةً تُجـلـى عليك ولـم تُـرد
بعلا سـواك ولا لغيرك تنجلي
واسلمْ ودم ولك السعادةُ والهنا
ولـك الغنى والـعزّ غير مخجَّل

****

كُفَّ الملام

في شكوى الدهر

ألا إنـنـي بـادي الـشـجـون متيّمُ
ونـــار غـرامـي حـرُّهـا يـتـضـرَّمُ
ودمـعـي وقـلـبـي مـطـلـقٌ ومـقيّدٌ
وصبري ووجدي ظاعنٌ ومخيّم
أبيت وما لي في الغرام مساعدٌ
سوى مقلةٍ عَبرى تفيض وتسجم
وأكتم فرط الوجد خيفةَ عاذلي
فتُبدي دموعي ما أجـنّ وأكتم
ويـا لائـمـي كُـفَّ الـمـلام وخَلِّني
وشأني فإن الخطب أدهى وأعظم
فلو كنتَ تدري ما الغرامُ عذرتني
وكـنـت لأشجاني تـرقّ وترحم
إلى الله أشكو ما لقيت من الجوى
فـرَبّـي بمـا ألـقـاه أدرى وأعـلـم
ويا جيرةً شطّت بهم غربة النوى
وأقفرَ ربع الأنس والقرب منهم
أجيروا فؤاد الصبّ من لاعج الأسى
وجُـودوا عليه باللقا وتكرَّموا
وحقِّكمُ إني على العهد لم أزل
وما حِلْتُ بالتفريق والبعد عنكم
وقربكمُ أُنسي وروحي وراحتي
وأنـتـم مُنى قلبي وقـصـديَ أنتم
رعى الله عصرًا قد قضيناه بالحمى
بطيب الـتـداني والحـواسـدُ نُـوَّم
وحيّا الحيا تلك المعاهد والربا
فقد كنتُ فيها بالسرور وكنتم
إلى أن قضى التفريق فينا قضاءه
وأشمتَ فينا الحاسـدون وفيكم
وشأنُ الليالي سلبُ ما سمحت به
ومـن عـادة الأيـام تبني وتهدم
وما زال هذا الدهر يخدع أهله
ويقضي بجورٍ في الأنام ويحكم
ويرفع مفضولاً ويخفض فاضلاً
وينصب في غدر الكرام ويجزم

❑❑❑

إبراهيم الخياري

١٠٣٧ - ١٠٨٣هـ / ١٦٢٧ - ١٦٧٢م

- إبراهيم بن عبدالرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري.
- ولد في المدينة المنورة وتوفي فيها.
- درس على أبيه فنون الأدب والتاريخ ولـزم السيد ميرماه البخاري المدني الحسني، كما أخذ عن المحدث الكبير محمد بن علاء الدين البابلي، كما درس ببعض المدارس بعد وفاة أبيه.
- رحل إلى دمشق سنة ١٠٨٠هـ ثم إلى الروم، ثم عاد إلى دمشق وتنقل بين الرملة والقدس والخليل وغزة ثم مصر، ثم عاد إلى المدينة، وفي كل مكان كانت تطأه قدماه يجد القلوب تهفو إليه وإلى علمه.
- بعد وفاة والده تولى ما كان له من وظائف فدرَّس وأمَّ وخَطَبَ في المسجد النبوي الشريف كما عكف على التأليف والتحرير، وكان شاعرًا أديبًا «له كثير من الشعر الرائق والنثر الفائق».

الإنتاج الشعري:

- له قصائد ومقطوعات وردت في «برج بابل وشدو البلابل»، و«نفحة الريحانة»، و«خلاصة الأثر».

الأعمال الأخرى:

- له عدد من المؤلفات منها: «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء» وهو في أدب الرحلات، و«خلاصة الأبحاث والنقول في الكلام على قوله تعالى لقد جاءكم رسول».

مصادر الترجمة:

- عبدالغني النابلسي: برج بابل وشدو البلابل - تحقيق أحمد الجندي - دار المعرفة - دمشق ١٩٨٨.
- محمد أديب الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق - دار البيروني - دمشق ٢٠٠٢.
- محمد الحجي: موسوعة أعلام المغرب (جـ٤) - دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٦.
- محمد أمين المحبي: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (جـ٤) - تحقيق: أحمد عناية - دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٥.
: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (جـ١، جـ٣) - تحقيق: محمد حسن إسماعيل - دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٦.

زارت على غفلة

زارت على غفلةٍ من غير ميعادِ
جيداءُ تسحب تِيهًا خير أَبْـرَادِ
كالشمس إن وضحت والبدر إن لمحت
والورد إن سمحت في خدّها نادي
حوراءُ ما حلَّلت لي نظرةً حَرُمَتْ
لكن أذابت بِحَرِّ الهجر أكبادي
يا ويحَ قلبي بها كم ذاق من حُرَقٍ
حتى لقد شيَّبَتْ بالبعد أفوادي
أبكي وأكتم دمعي كاتمًا لأسىً
نيرانه في الحشا آلت لإيقاد
يا صاحبيَّ إذا ما رمتما سكني
عُوجا قليلاً كذا عن أَيمنِ الوادي
أو رُمْتُما شرح حالي في الهوى فلقد
غُذّيتُ دَرَّ الهوى من قبل ميلادي
وصادحُ البين إن يخفى فلا عجبٌ
صوادحُ البين وَهْنًا شجوها بادي
يا ضَرَّةَ الشمس يا من لا شبيهَ لها
حُبِّيكِ أعذبُ من عذبٍ إلى صادي
فإن يكن عَزَّ وصلٌ أو بخلتِ به
فعلّلينا ولو طيفًا بميعاد

****

ملك الملوك

شوقٌ أكنَّ صميمَ قلبي الصادي
فغنيتُ عن ترديد صوت الحادي
سارت ركابي لا تني في سيرها
لمـرام عـزٍّ شـامـخٍ ومَـرَادِ
لمعاهدٍ تسمو السِّماك جلالةً
وتضيء مثل الكوكب الوقّاد
حيث النبوةُ والرسالة ساطعٌ
نوراهما والمجد ثَمّتَ باد
هي «طيبةٌ» دار الحبيب فتُربها
مسكُ المفارق عنبر الأفواد
دارُ السلام وبلدة الهادي التي
هي منتهى الآمال للقُصّاد
مُتنزَّلُ الأملاك بالوحي الذي
فيه الشفاء لكل خطبٍ عاد
والروحُ «جبريل» الأمين منزَّلٌ
بالوحي في الإصدار والإيراد
طال اغترابي والتنائي عن حمى
تلك الربوع فآهِ وا إسعادي
يا سيّدَ السادات دعوةَ نازحٍ
مُضنى الفؤاد شجٍ قصيٍّ صاد
عبثتْ به أيدي النّوى فتفرَّقتْ
أسبابُ لذته سبًا بأياد
فلذاك لم يحُكِ القريضَ كدأبه
حَوْكَ الصناع لفاخر الأبراد
لكنّ شكواه البِعاد كما شكتْ
اَلخودُ قلبًا ضاق بالأعضاد
لا مثلَ شكوى من تقدَّم قائلاً
شكوى الأسير الزند للأصفاد
فرعٌ نَموتُ بروضةٍ من جنّةٍ
أعظِمْ بفرع الروضة الميّاد
ما إن إخال بأن تُزَمّ ركائبي
للسير عنها أو تعنَّ جيادي
حتى أتاحَ لي القضا مقدوره
فغدوتُ نهبَ مَهامهٍ ونِجاد
أطوي الفيافي ذارعًا لرحابها
بذراع خُفّ بَعيريَ الوخّاد
أو بالسنابك من جيادي إذ سرت
كي تجمعَ التأويب للإسآد

لا أستقرّ بمنزلٍ بل لم أزل
كمَلام ذي عذلٍ بمسمع صاد
حتى انتهى سيري لسُدّة ماجدٍ
ملكِ الملوك نهايةالتعداد
سبقوا، وجاء مؤخَّرًا، مَن بعدهم
فسما كمثل مَراتب الأعداد

****

تعطُّف

في الغزل

تعطَّفْ بمضنًى عليل المقالْ
ودع عنك هذا الجفا والمطالْ
أما قد علمتَ بأني امرؤٌ
أحبّ الجميل وأهوى الجمال
وأغشى المغاني إذا ما حَوَتْ
لطيف البنان حليف الدلال
بسهم اللحاظ إذا ما رَنَا
أصاب فؤاديَ دون النِّصال
ووردِيِّ خَدٍّ إذا لاح لا
همى الطرْفُ مني بمثل اللآل
ووجهٍ يُبيد سناه البدورَ
إذا ما تبدَّى بجنح الليال
فصبحُ الجبين وليل الشعورِ
بهذا الهدى وبهذا الضلال
وجسمٍ حكى الماء في رقَّةٍ
عليه من الشَّعر مثل الظلال
وقَدٍّ كغصنٍ ويا ليته
يميل بنفح الصبا والشمال
فخُذْ ما صفا لك من ودّه
ولا تخشَ عارًا ولا أن يقال
فما كلُّ وقتٍ يبيح الزمانُ
لقا عاطلٍ هو بالحسن حال
ولا الدهر في كل ساعاته
يغيث الفقير ببذل النوال
وإن لاح فاجْتَلِ أنوارَهُ
فما كلُّ يومٍ يلوح الهلال
فكم في بقايا الركايا ندًى
وكم في حنايا الزوايا رجال
أيا من سبا الغصن بالاعتدالْ
وأزرى ببدر الدجا في الجمال
إلى كم جفاك وحتى متى
فجُدْ بالوفا طال هذا المطال
فؤادي بحبك في صبوةٍ
يريد اللقا فيزيد اشتعال
وصبري وصبري عليك انقضى
ولكن شوقي الذي لا يزال
رماني زماني فلم يرعوِ
وقد يرتمي بالكسوف الهلال
وما كلّ دوحٍ بحلو الجَنى
ولا كلّ وردٍ بعذبٍ زلال
ولا تُمهلَنْ لذّةً أمكنتْ
وباكرْ صبوحك قبل الزوال
أأحبابَنا إنّ مُضناكمُ
لدى سُوحكم قد أناخ الرحال
فلا تهملوه ولا تتركوهُ
ولا تمنعوه لذيذ الوصال
فما كل شوقٍ لديكم يُبَثُّ
ولا كلّ علمٍ لديكم يُقال
ولا كلّ سهمٍ يجيد المضاءَ
ولا كلّ شهمٍ يجيد النزال
وإني امرؤٌ سابقٌ للعلا
أبثّ النوال وأجني المعال
وأقتطف الأدب المجتنى
فأُحيي رسوم ربوعٍ خوال
فلا تعذلنّي ولا تلحني
ودعني أُنظّم سِلك اللآل

****

خَطبٌ ألمّ

في رثاء أحمد البري

فـجـأ الأنـــــام جـمـيـعـهـم
خـطـبٌ ألـــمَّ بـهـم عـجـيـبْ

ومـصـيـبـةٌ قـد أوجـبـت
لـلـطـفـل فـيـهـا أن يـشـيـب

ورزيّــــــةٌ عـظـمـت بـدا
رِ المـصـطـفـى طـه الحـبـيـب

فُـقِـد الإمـــام الحـافـظ الـ
عـلامـةُ الـشـهـم الخـطـيـب

فـأجـبـتـهـم مـتـأوّهًـا
بـلـسـان مـحـزونٍ كـئـيـب

زل أول الأعــــداد مـن
تـاريـخـه لـتـكـنْ مـصـيـب

واسـمـعْ فـقـد وافـى لـنـا
تـاريـخُـه: مـات الخـطـيـب

****

أيا فاضلاً

ردًا على اعتذار

أيـا فـاضـلاً أبـدى لنا في نظامه
لطيفَ اعتذارٍ سكَّن الشوق والوجدا

وأشـفـى بلقياه مـريـضَ بعاده
وقد كان أشقى للبعاد وما أودى

فصان إلـه الـعـرش مقلته التي
ترى كل معنًى دقَّ عن فهمنا جدّا

لئن كحلت بالظرف قد أسكرت بما
أدارته من مقلوب أحداقها شهدا

فـإن ترني أشتاق خمرةَ قرقفٍ
فأطلبها سهوًا وأتركها عمدا

❑❑❑

إبراهيم المبلِّط

- ٩٩١هـ / - ١٥٨٣م

- برهان الدين، إبراهيم بن المبلط القاهري.
- لقب بشاعر القاهرة.
- قال عنه صاحب شذرات الذهب: «أديب شاعر فاضل».

الإنتاج الشعري:

- وردت له قصائد وأبيات متفرقة في كل من «الكواكب السائرة» و«النور السافر» و«السناء الباهر» و«ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» و«شذرات الذهب».

مصادر الترجمة:

- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب - دار الكتب العربية - بيروت (ط ١) ١٩٩٨.
- شهاب الدين الخفاجي: ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا - تعليق أحمد عناية - دار الكتب العلمية - بيروت (ط ١) ٢٠٠٥.
- عبدالقادر العيدروسي: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ن. م، د.ت).
- محمد الشلي اليمني: السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر - مكتبة الإرشاد - صنعاء (ط ١) ٢٠٠٤.
- نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة - دار الكتب العلمية - بيروت (ط ١) ١٩٩٧.

وليمة عامرة

وافق السعدُ في حماك السرورا
وأمـانُ الـزمـان أرخـى الستورا

فـتـمـتَّـعْ ونم وقـمْ فـي قـصـورٍ
لـم يـصـل واحـدٌ إلـيـهـا قُـصـورا

إن رآهـا الحـسـود يـومًـا بعينٍ
يـنـقـلـبْ طـرفُـه إلـيـه حسيرا

إن ربَّ الـسـمـاء أعـطـاك فـيـهـا
فـرحًـا عـاطـفًـا عـلـيـه سـرورا

ودحـى عنك حـادثـاتِ الليالي
وبـنـى بـيـنـهـا وبـيـنـك سُـورا

لا تخفْ إن سمعت طارقَ ليلٍ
فـهـو بـالخـيـر قـد أتـاك بـشـيـرا

ما لهذا البِناء في الحسن واللُّطـ
ـفِ وإن كان واسعًا وكبيرا
أسّسوه على التقى فلهذا
هو بالخير لم يزل معمورا
شكر الله سعي من قد بناه
إنه كان سعيُه مشكورا
ستُوفّى لك الأجور بما وَفْـ
ـفَيْتَ للصانعين فيه الأجورا
فبإتمامه أقمْ في هناءٍ
وبخَتْن البنين عشْ مسرورا
قُطِعتْ سُرّةٌ لهم قبل هذا
لكنِ الآنَ طُهِّروا تطهيرا
وسيأتي زواجهم عن قريبٍ
فتأهَّبْ له وأعطِ المهورا
صاحبيَّ احضرا وليمةَ ختنٍ
ودَعا عنكما محالاً سرورا
وانظرا مجمعًا لهم ضمَّ خَلْقًا
ليس يُحصى أعدادهم تكثيرا
عالمًا صالحًا أميرًا كبيرًا
قاضيًا شاهدًا، غنيّاً، فقيرا
فيقول الفقيه عني استنيبوا
في جهاتي وعطِّلوها شهورا
فجهاتي مشغولةٌ عن جهاتي
وليَ العذرُ إن تركتُ الحضورا
والأصوليُّ قائلٌ بي اضطرارٌ
وتُبيح الضرورةُ المحظورا
ويقول الخطيب للناس جهرًا
يا أولي الجدّ شمِّروا تشميرا
ويقول القاضي وللأكل يُوفي
كان ذا في كتابكم مسطورا
قد دعاني وليُّ أمري وعندي
يستحقّ المخالف التعزيرا
وتقول الشهود جئنا نؤدّي
ما علينا ونترك التأخيرا
وتقول القُرّاء عنوان خيرٍ
نحن في رزقنا نرى التيسيرا
ويقول المجيد علمَ لغاتٍ
بل لجرعانَ تعرفون نظيرا
والعروضيُّ لا يُقطِّع إلا
في لحوم ولم يُقطِّع بحورا
وأخو النحو قد علاه اختلاطٌ
فهو يبدي ضميره المستورا
ويجرّ المنصوب من غير سوغٍ
ثم من بعدُ يرفع المجرورا
جملةُ الأمر أنهم أبصروا ما
حيّرَ العقل منهمُ تحييرا
رقَّ قلبي على رغيف سيوطٍ
حين أبصرتُ قلبَه مكسورا
وقبابُ الحلوى التي عرضوها
عن جموع السلامة التكسيرا
والعزيزيُّ من أيادٍ طوالٍ
خاف فازداد لونه تصفيرا
ولكم في السِّماط رأسُ سميطٍ
وسليخٌ قد استوت تخميرا
ودجاجٌ معلوفةٌ وإوزٌّ
كان منها الصدور تشفي الصدورا
جمع الطيّبات طولاً وعرضًا
ولعمري يستوجب التصديرا
شبع الناس كلهم منه أكلاً
وانتهابًا ولم يزل مستورا

والذين اعتنوا بنقل قراهم
ينقلون الصحيح والمشهورا
رضي الله ((عنهمُ)) نقباءً
قد أجادوا التصريف والتدبيرا
وإذا قال قائلٌ لنقيبٍ
ما تراهم، يقول كن سِتّيرا
إن هذا رزقٌ حلالٌ مباحٌ
وأرى منعه لهم محظورا
فجميعُ الأنام راضون عنهم
شاكرو الفضل غيبةً وحضورا
كم ألوفٍ من فضّةٍ وكذا من
ذهبٍ قُدِّرت له تقديرا
لم يكن درهمٌ ولا دينارٌ
مستعدّاً لهم ولا مَصرورا
بل من الله قد أتت وبحمدٍ
أُنفقت في الهنا وعادت أجورا
ولكم أُوقدت مصابيحُ نورٍ
فيه حتى بدا الصباح منيرا
تُشبه النجم كثرةً وارتفاعًا
وضياءً على الأنام ونورا
في ليالٍ بدا بها قمرُ الأُفْـ
ـقِ مُنيرًا فزادها تنويرا
وشموعٌ كأنها ألفاتٌ
في طروس الظلام خطّت سطورا
كلما مسَّ نوره الريح أمسى
كلسانٍ بين الشفاه أُديرا
والحراقاتُ في المراكب ترمي
شررًا من قُراضةٍ مستطيرا
صنعةُ الكيمياء في الرفع والخَفْـ
ـضِ تُرينا التصعيد والتقطيرا

كمُروقِ السهام دفعًا ورفعًا
وبُروقِ السماء لاحت ظهورا
أو كما فرَّ طائرٌ ملَّ حبسًا
فعلا شاهقًا وجاوزَ سُورا
او كحَلْيٍ في رأسه شربوشٌ
قد تبدّى مُقرَّعًا منشورا
أو كما قُرِّطت سلاسلُ دُرٍّ
وبدا حَبُّ عِقْدها منثورا
أو كما تُبذَر الحبوب لزرعٍ
أو كما تَنفخ الشفاه القشورا
أو كخشخاشة بكفّ صغيرٍ
لم يُجِدْ أكلَها فصبَّ البزورا
أو كما تنثر النقود نُقوطًا
أو كما تُخرج الرياض زهورا
ولكم فُصِّلتْ ثيابُ حريرٍ
وغدا في اختلافها الأمر شورى
ولكم أُطلقت صنوفُ بخورٍ
وشممنا نَشْرًا لها وعبيرا
ولكم سُكَّرٌ نقيٌّ مُذابٌ
في الأواني مكرَّرًا تكريرا
وترى النُّقْل والفواكه والحلـ
ـوى لجمع الورى أعِدَّتْ فطورا
ولكم قد أُدير قهوةُ بُنٍّ
وسُقينا منها شرابًا طهورا
من تعاطى منها شهارًا جِهارًا
لا يرى في الورى عليه نكيرا
وخيامٌ منصوبةٌ لا يرى مَن
حلَّ فيها شمسًا ولا زمهريرا
وتولّى فينا مليكٌ جديدٌ
دام فينا مؤيَّدًا منصورا

ولـه بـالحُـلـيِّ زُيِّـنــتِ الـدُّنْــ
ـيا، وأثــرتْ مـلابـسًـا وسُـتـورا
إن أردتَ اللّحاظ تلقَ حريرًا
أو أردت الجلوس تلقَ سريرا
واكتسى الروض من بدائعَ صنعًا
ومـــوشَّـــىً مـحـبَّـرًا تحبـيـرا
واكتست قُضْبُه من الخِلَع الخُضْـ
ـرِ التي فضلُها غـدا مجرورا
وأجــادت رقـصًـا بأكـمام زهـرٍ
عـطَّر الـكـونَ نَـشْـرُهـا تعطيرا
وفِـصـاحُ الـطيـور غنَّت بلحنٍ
وأجــاب المـطـوَّقُ الـشـحـرورا
ولجـمـع الأتــــراك يــومٌ عظـيمٌ
كـان يـحـوي الأمـيـر والمـأمـورا
والأغــاواتُ و«الـصـنـاجق» إلا
«صاحبَ السعد» ما استطاع الحضورا
ودعــا الـســادةَ البـنـينَ وأعـطا
هـم مـن المـال مـبلغًـا مـصـرورا
وكـسـاهـم مـلابـسًـا فـاخـراتٍ
صـيَّـرت خـاطـرًا لـهـم مجبـورا
بـعـد إجـلالـهـم بـحسـن تـلقْـ
ـقيهِ وأخـلـى لـهـم مَـحـلاً أثـيـرا
ثـم قـاضـي الـقـضـاة جـاء وأتْـبا
عٌ لـه كــان جـمـعُـهـم مـوفـورا
ويـقـول انـظـروا لعبـدٍ وَلاكـم
خـدمـةً فـالأمـيـرُ لـيس أمـيـرا
أدبــاً مـنـه واحـتـشـامًـا ولطفًـا
زاده فــي مـقـامـه تكـبـيـرا
ومماليكُ صاحب السعد جاءوا
جـلَّ مـن قـد بَـراهـمُ تـصـويـرا

نحو سبعين أو ثمانين شخصًا
كلُّ شخصٍ يحكي القضيب النضيرا
بالحِياصات والعصائب صِيغت
مـن نُـضـارٍ صفـا وأشـــرقَ نـورا
والمـزامـيـرُ والـطـبـول بـأيـدي
مَـن يجيد التطبيل والتزميرا
فغدا يـومُ جمعهم وهـو يحكي
بـهـمُ يــومَ مـوكـبٍ مـشـهـورا
ثـم كـانـت لـهـم نـهـارًا ولـيـلاً
زفـفٌ تجمـع المـوالـي الـصـدورا
من أولي الخير والصلاح وأهل الـ
ـعلم زيـدوا على الـورى توقيرا
ومـن الـسـادة المـوقّـعين وأصحا
بِ الـدواويـن كـان جـمّـاً غفيرا
وجـمـيـعُ الـكُـتّـاب إلا قـلـيـلاً
وجـمـيـع الـتـجّـار إلا يـسـيـرا
ثـم بـاقـي الأنـــام إلا كـبـيـرًا
أو رضيعًا للشدي، إلا صغيرا
قـلـت لـولا جـمـالـهـم بـثـيـابٍ
لحكى البعثَ جمعُهم والنشورا
وقصور الشموع والزهر فاقت
كُـثُـرًا واسـتـوت بـهـا تـقـديـرا
وزهـت بـاختـلاف شـكـلٍ ولـونٍ
زادهـــا فـي جـمـالـهـا تـزهـيـرا
ثـم فيـهـا الجـنـائـب الـغُـرّ تزهو
بـلَـبـوسٍ قـد شُـهِّـرت تشهيرا
مـن خـيـولٍ مُـسـوَّمـاتٍ جـيـادٍ
عـالـيـاتٍ وغـالـيـاتٍ مُـهـورا
ولمـن زفَّ مـعْ بـنـيـه صِـغـارًا
وكـسـاهـم مـن الـلـبـاس حـريـرا

وتـولّـى أجـرَ الحساب لهم عن
والـدَيـهـم يبغي بـذاك الأجـورا
ثـم فـي سابـع الخـتـان لـهـم كا
نَ مـهـمٌّ ضـاهـى المـهـمّ الكبيرا
في اجتماعٍ وفي مصابيح نورٍ
عُـمِّـرت حين أُشبعت تعميرا
وسـمـاطٍ مـركّـبٍ طبقـاتٍ
كـم حـوى طيّبًا وحـاز حنورا
فيـه مـا لا يعبِّر الـوصـفُ عنه
فـلـذا أطـبـقـوا عـليـه حُـبـورا
قـاسه كـلُّ ذي ذراعٍ طـويـلٍ
فـــرآه مُـــحــــرَّرًا تحـريـرا
أمـنـوا عـنـده رقـيـبًا نـقيبًا
وحـسـودًا فـي أكـلـه وغـيـورا
والمشاهيرُ بـالـدخول مـن القُرْ
راءِ والـواعظين كـانـوا حضورا
يـقـرؤون الـقـرآن طـورًا وطـورًا
يُـنـشـدون المـوشَّـح المشـهـورا
فظفـرنـا معْـهـم بـإحـيـاء لـيـلٍ
كــان بـالخـيـر كـلّـه مـعـمـورا
كـان هـذا المـهـمّ حـاوي مُهْـمّا
تٍ عـظـامٍ يحتاج شـرحًـا كبيرا
نـحـو شـهـرٍ يُـقـام فـي كـل يـومٍ
فـــرحٌ كـــامـــلٌ عـــديمٌ نظـيـرا
معْ غـلاء الاقـوات سعرًا إذا لم
يـقـضِ حـكـمٌ لحـاكـمٍ تسعيرا
يـا لتلك الـلـيـالِ حسنًا وطيبًا
ليتها ما انقضتْ ودامت شهورا
تمَّ فيها الـسـرور من كـل وجـهٍ
ومـحـا صـفـوُ عيشها التكديرا
وبـلـغـنـا مـن الـزمـان الأمـانـي
وأمـنّـا المـخـوف والمحـــذورا
لـسـرور الأسـتـاذ مـن سـخَّـر الـ
ـلـهُ لـه الـكـونَ كـلَّـه تسخيرا
وأفـــاض الإلـــه مـنـه عـلـيـنـا
نِـعَـمًـا جـمّـةً وفـضـلاً كـبـيـرا
وكـرامـاتُـه غـدت بـيّـنـاتٍ
ليس تخفى على الأنـام ظهورا
مَـن «أبـو بكـرٍ» الإمـام لـه جَـدْ
دٌ وقـد كـان لـلـنـبـيّ نـصيرا
ورفـيـقًـا وصـاحـبًـا وأنـيـسًـا
من عَـدوٍّ في الغـار يأتي مُغيرا
حـاز إسـنـاده عـلـوّاً ورفـعًـا
درجـاتٍ عـلـى الأنـام وفـورا
أخـذ العلم عـن أبيه عـن الصِدْ
ـديقِ عـن سيّد الـورى مأثـورا
لـم تجـفْ عـلـمـه عـيـن ضـدٍّ
فـهـي عـينٌ قـد فُجِّرت تفجيرا
سـيّـدي هـذه هـديـة عـبـدٍ
من قريضٍ قد غاص فيه البحورا
لـو رأت دُرَّه النفيس الغواني
نـظـمـتْـه وقـلَّـدتـه الـنـحـورا
فـيـه لـبٌّ حـلـو المـذاق وقـشـرٌ
فـخـذِ الـلـبَّ منه وارمِ القشورا
مـزج الجـدَّ منـه بـالـهـزل كيما
بـانـتـقـالاتـه يُـرى مـجـبـورا
عُـذره فـي تـأخـيـره رمـدٌ في
عـيـنـه لـم يـزل بـه مـعـذورا
وشعـاري التأخيرُ دأبًـا ومعنًى
لـم أزل فـي الـورى بـه مَغيورا

وعسى أن يحصل بي نظرٌ منـ
ـكَ، فيلغي التقديم والتأخيرا
دُمتَ في العالمين عمرًا طويلاً
كلَّ عام تُنشي مُهمّاً كبيرا
وبقيتَ الزمانَ مجتمعَ الشَّمْـ
ـلِ بأولادك الجميع قريرا
بالموالي أبي السرور وتاج الدْ
ـدينِ والعارفين عاشوا دهورا
ثم عبدالرحيم أيضا وزين الـ
ـعابدينَ الذي استحقَّ الظهورا
ورأيت الجميع بالقرب حازوا
عملاً صالحًا وعلمًا غزيرا
قد حضرنا ولائمًا ليس تُحصى
وشهدنا جمعَ الأنام الكثيرا
ما رأينا ولا سمعنا بشيءٍ
مثل هذا واسألْ بذاك خبيرا
ولقد قيل أرِّخوه فقلنا
فرحٌ مبهج القلوب سرورا
وصلاةٌ من ربنا وسلامٌ
لنبيٍّ إلى الأنام بشيرا
ما أُقيمت في شرع طه بموسى
سنّةٌ للخليل يهدي السرورا

****

تهنئة بالقدوم من الحجّ

كفى شرفًا لها أنها
تُدار في الحجرة والحجره
وأنها تشرب في حضرة الـ
أستاذِ شيخ الوقت والحَضْره
محمدٍ نجل «أبي بكرٍ» الصِدْ
ـديقِ أعلى ربُّنا قَدْرَه
أهلاً به من قادمٍ قد أتى
بعد تمام الحجّ والعمره
مسافرٌ طلعتُه أسفرتْ
عن طلعة الشمس يا لها سَفْره
في كل عامين له حجّةٌ
والحجّ لم يُفرَض سوى مَرَّه
إذا أراد الحجَّ في عامه
لا بَردَه يخشى ولا حَرّه
مباركُ الطلعة ميمونها
فمن رأى وجهًا له سَرَّه
قلتُ إمامٌ عارفٌ ذاكرٌ
لله لا تأخذه فتره
له كراماتٌ غدت للورى
ظاهرةً مظهرةً سِرَّه
وا عجبًا من حاسديه فما
ينالهم شيءٌ سوى الحسره
فليس فيهم من حذا حذوه
وليس فيهم من قفا إثْره
ما منهمُ إلا قتيلٌ بلا
سيفٍ ومذبوحٌ بلا شفره
يعجز عن نيل علاه امرؤٌ
ليس له قَدْرٌ ولا قُدره
ما الليثُ كالهرِّ ولا الدرُّ كال
ـحصى ولا الصارم كالإبره
إن كنتَ ذا جهلٍ بعلمٍ له
فاسألْ أولي الأخبار والخِبره

****

الزم حمى البكري

يـاناظـرًا صـلِّ عـلى المصطفى
وآلــــه الــغُـــرّ وأصــحــابِــهِ
واعـلـمْ بـأن الـعـلـم كـنـز الـهـدى
فـمـا قـــوامُ الـديــن إلا بــه
والزمْ حمى «البكريِّ» شمس العلى
ومَــــــرِّغِ الخـــدَّ بـأعـتـابـه
أبــوابــه بـالـسـعـد مـفـتـوحـةٌ
يــا سـعـدَ مــن لاذ بـأبـوابـه
أنـشـأ بـيـتًـا جـاء تـاريـخـه:
يـسـلـم مــن يـدخـل مــن بـابـه

❑❑❑

إبراهيم الهندي

- ١١٠٠هـ / - ١٦٨٨م

● إبراهيم بن صالح المهتدي الهندي اليمني.

● ولد في صنعاء، وتوفي فيها عقب عودته من الحج.

● جاء في «البدر الطالع» أنه كان أشعر أهل عصره، وقد نشأ شغوفًا بالأدب، مولعًا بعالي الرتب، وأكثر مدائحه في حكام اليمن.

الإنتاج الشعري:

● ذكر صاحب كتاب «البدر الطالع» بأن له ديوانًا شعريًا ضخمًا، كما وردت له بعض القصائد في كتاب «سلافة العصر».

مصادر الترجمة:

● ابن معصوم المدني: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر - مطابع علي بن علي - الدوحة (ط٢) ١٩٦٢.

● عبدالكريم الحنكي وآخرون: سفينة القلائد الحكمية والفرائد الحمينية من الشعر اليمني - مركز البحوث والدراسات اليمنية - جامعة عدن - اليمن ٢٠٠٥.

● محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) ٢٠٠٥.

إمام الهدى

في مدح الإمام إسماعيل المتوكل على الله

نـعـم مـا لـربـات الحُـجـول ذِمـامُ
ومــا لـعـهـود الـغـانـيـات دوامُ
أ«غِـرُّ» إلامَ البرقُ عندك خلَّبٌ
وحَتَّام سُحْب الوصل منك جهام
تـقـلّصَ ظـلٌّ مـن وفـائـك سـابـغٌ
ظـلـيـلٌ وعـاد الـريّ وهـو أُوام
تخذتِ القلى والصدّ والبعد حسبةً
مـلـلـتِ ولا أنَّ المـلال سـلام
وتلك لعمري في الحسان سجيَّةٌ
ولـلـشـحّ فـي إلمـامـهـنَّ لِـزام
ولـكـنـه فـي حـقّـهـنَّ ممــدَّحٌ
حـلالٌ وأمّـا في الـرجـال حـرام
قُصارَى جمال الغِيد وجدٌ ولوعةٌ
لـهـا بـين أثـنـاء الحـشـاء ضِـرام
تعصيَّتِ حتى ما لمُضْناك حصةٌ
من الـوصـل إلا مـن رَنـاك سهام
حسبتِ بـأن الحـسـن بـاقٍ وربمـا
غـدا نـبْـعُـهُ يـا غِـرُّ وهـو ثمـام
وكـلُّ شـبـابٍ بـالمشِـيـب مـروَّعٌ
وإن لم يرعْك الشيب راع حِمام
ألـم تعلمي أن المحـاسـن دولـةٌ
يـزول إذا زالـت جـوًى وغـرام
ولو دامتِ الدولات كانوا لغيرهم
رعـايـا ولـكـنْ مـا لـهـنَّ دوام
إذا ازددتِ بُعدًا أو أطلتِ تجنّياً
رحلتُ وجسمي لم يذبه سقام
وما فضلُ ربِّ السيف إن فتكتْ به
جـفـونٌ كـلـيـلاتُ المـضـاء كـهام

أينصُبْنَ لي من هُدبهنَّ حِبالةً
وهل صِيدَ في فخّ الغزال هُمَام
ولي همَّةٌ لا توطئنْها صبابةٌ
وحزمُ فتًى بالخسف ليس يُسام
وعزمةُ نَدْبٍ لا يذلّ فؤاده
وجانب حرٍّ لن تراه يُضام
هياميَ في نهدٍ أقبَّ مطهَّم
إذا القومُ في نهد المليحة هاموا
ولم يك عندي غيرُ كتْبٍ نفيسةٍ
تروق، وإلا ذابلٌ وحسام
ولي قلمٌ كالصِّلِّ أمَّا لُعابه
فسُمٌّ وأمّا نَفْثُه فمُدام
وإن رامني الدهر الخؤون بحادثٍ
فلي من أمير المؤمنين عصام
إمامُ الهدى «اسماعيلُ» أفضل قائمٍ
به لاح بدر الحق وهو تمام
إمامٌ عظيم السرّ أمّا نهاره
فصومٌ وأمّا ليلُهُ فقيام
رياض الأماني في حِماهُ نضيرةٌ
وسحْبُ الندى من راحتيه سِجام
وفي سَرْحِه حوضٌ لمرواه منزعٌ
نميرٌ يَميرِ الناس منه غَمام
وكم مَلَكتْ حرّاً غوادي هِبَاته
ببيض أيادٍ حولهنَّ ركام
وطوَّقَ أعناقَ الملوك فكلُّهم
له بأغاريد الثناء جِسام
وذو الخَلَوات اللاءِ يصْعَد أمْرها
عليها لأملاك السماء زحام
تحمّدَ سرَّ المصطفى بسريرةٍ
وسيرةِ عدلٍ لا تكاد تُرام

وصحَّ به الدين الحنيفيّ مهجةً
وأَتْمكَ منه غاربٌ وسنام
تدفَّق بحر العلم في طيِّ صدره
أواذيُّ لُجٍّ دُرُّهُنَّ تُؤام
هو الجادّة العظمى إلى الله فاعتمِدْ
عليه ويمِّمْ فالإمام أمام
لقد قام بالحق المبين بدعوةٍ
قيامًا له شرعُ النبيّ قيام
إمامًا خطيبًا ليس إلا مشطّبًا
ومنبره يومَ الكريهة هام
ولاح بأفق الرشد شمسًا منيرةً
به انجابَ جنْح الغيِّ وهو ظلام
وجرَّ ذيول الخيل وهي عوابسٌ
وقام زِمام الجيش وهو لهام
وقد غبّر السبعَ السمواتِ نقعُهُ
فظلّتْ سماء الأرض وهي قتام
وزيّنها منه نجومُ أسنَّةٍ
مَجرَّتُها بِيضٌ لهنَّ ضرام
ووسَّع أكناف الهدى بصوارمٍ
لهنَّ بأحشاء الضلال كِلام
إليك أميرَ المؤمنين قد انبرتْ
وللمدح فيها روضةٌ وكِمام
أتتك بطِرْسٍ خفَّ حِمْلاً وربما
تصدَّعَ منه «يذبلٌ» وشمام
وفي قلبها من فَرْط بُعدك لوعةٌ
وللعتْب فيها شرهَةٌ وغرام
وقد أرسلت أمثال عقلٍ وحكمةٍ
وأمثالُها في الخافقين عقام
مصدَّقةٌ في ذكْر مجدك أنها
لعمرُ أبي فيما تقوم «حذام»
وكم سامها مَلْكٌ سواك ورامها
وهيهات أكْفاءُ المديح كرام

فهلاّ قضى منك الفخار بِرَعْيها
عليك صلاةٌ جمَّةٌ وسلام
وها مُقَلُ الآمال نحوك شُخَّصٌ
قد استيقظتْ دهرًا وليس تنام
ولي همَّةٌ عن قصد غيرك في الورى
ترفَّعُ منها جانبٌ ومقام
فعطفًا أميرَ المؤمنين ورقَّةً
فإنك للغُرّ الكرام ختام

****

أمير المؤمنين

في مدح أمير المؤمنين المهدي أحمد بن الحسن

هلِ الرُّسْلُ إلا ذُبَّلٌ وعِرابُ
وهل غيرُ بيض المرهفات كتابُ
ولا خاطبٌ إلا على منبر الطلا
غزارةُ فضلٍ واضحٍ وخطاب
صحيفةُ ماضٍ لا صحيفة راقمٍ
طلاها وهل يتلو السيوف قراب
أجِبْها أميرَ المؤمنين وأفتِها
فقد سألتْ والمشرفيُّ جواب
ترى ما عسى الأقوامُ يبغون دون ما
دعوتَ إليه إنّ ذا لعُجاب
هو الفضل إلا أن تُقامَ شريعةٌ
وتأمَنَ سُبْلٌ للهدى وشِعاب
وهل غيرُ فُرقان النبيِّ محمدٍ
وسنّته الغَرَّا فأين ذهاب
ترى وجبتْ بالنصّ فيهم لقاسمٍ
لفرْط اشتياقٍ عند ذاك يُجاب
بلى دون ما ظنّوه كل تنوفةٍ
سحالفَ لم يعسلْ بهنَّ ذئاب
هو البَرّ إلا أنهم وسَّعوا به
مسالكَ ما يرجون منه فخابوا
وأطروا به إطراء عين مشرّعٍ
وما ليس يرضى الشرعُ فيه سباب
على أنه الحَبْر الخشوع تعبُّدًا
أمن بعد محرابٍ يكون حراب؟
لقد خدعوه واستلانوا قناته
ومال به غيٌّ بهم وشباب
وقد يُخدَعُ الحرُّ الكريم سجيّةً
إذا راوغَتْه أسْرةٌ وصحاب
دعوتَ إلى الدنيا بما يظهرونه
إلى طلب الأخرى وذاك كِذَاب
وعَنّدَ من يرجو رضا الله فتنةً
تُثار وهل إلاّ إليه إياب
فحقِّقْ ذوي التقميص يا قاسمَ العلا
فثَمَّ ذئابٌ فوقهنَّ ثياب
أُجلُّك قدْرًا أن تُصيخ لرأيهم
فقد وقدَتْ حربٌ وثار لهاب
لقد أحسنوا أمرَ التفرُّق فيكمُ
وجالوا بدهماء الثراء وجابوا
وشقُّوا عصا الإسلام والدين جامعٌ
وأنتم على سرّ النبيّ صِلاب
وقد رقَّش الأقوالَ منهم عصابةٌ
ولله دينٌ ما عليه حجاب
أعِدْ نظرًا في أمرهم متيقّظًا
تجدْ قِيعةً فيها الخليج سراب
ويا أيها المهديْ الإمام أصِخْ لها
فما بعدها للناصحين خطاب
وأحرصْ على هذي الخلافة إنها الـ
ـعروسُ وما غيرُ الدماء خِضاب
فيا طالما حالت بحقن دمائهم
ولكنْ رؤوسٌ أينعت ورقاب
ترامَوا على حب الرئاسة غرّةً
وثَمَّ مَوامٍ دونها وهضاب
به حاولوا نيل المزايا وأمّلوا
جوامعَ ما يبغونه وأصابوا

وقد ملكوا الدنيا لديك وأحرزوا
بطاعتك الأخرى وصحَّ مثاب
دعوتَهُمُ نحو الهداية مشفقًا
عليهم وماء الودِّ ليس يُشاب
فظنّوك سلمًا عند ذاك وما دروا
روابضَ أسْدٍ تُتَّقَى وتُهاب
ألا فادعُهم والمرهفات معاتبًا
فما غيرها للمارقين عتاب
على السيف أسِّسْ ما بنيتَ فكلُّ ما
شدَدْتَ على أُسّ الوداد خراب
دعا المصطفى دهرًا إليه فلم يُجَبْ
وقد لان منه جانبٌ وخطاب
وقالوا له أمّا خوارقُ آيةٍ
فسحرٌ وأما ما تلا فكِذاب
فلما دعا والسيفُ صلْتٌ بكفّه
به آمنوا واستسلموا وأنابوا
على السيف خيل الله سرُّ رعيلها
وجهِّزْ جنود الله حيث تُثاب
وسرُّ ذوي الرايات أعلام حاشدٍ
فهيهات أن ينسدَّ دونك باب
وصلِّ ببكرٍ فتيةِ الحرب إنهم
عرانين أُسْدٍ ماجدون نِجاب
إمامَ الهدى أُجررْ ذيول جيوشها
هُمَامٌ له السيف المشطَّب ناب

****

يمانيّ اللحاظ

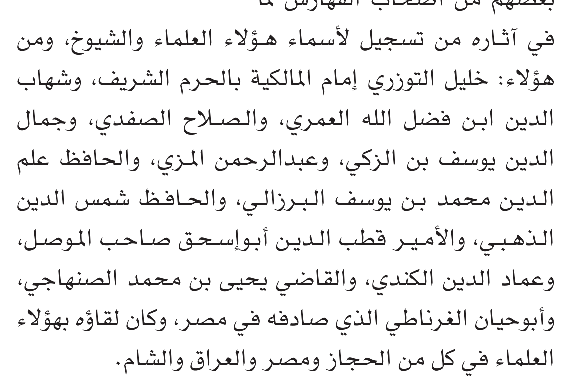
أسلبتَ جيدَ الظبي، أم لفتاتِهِ
وسبيتَ قَدَّ الغصن، أم خطراتِهِ
وأخذتَ – من نَفَس الصباح – عبيرهُ
أرَجًا، ومن واديه عينَ مَهَاتِه
وحكيتَ عن وجه الغزالةِ طَلْعةً
وسَنًا، وعن يَعْفُورِها نَفَراتِه
عجبًا لخَدّك كيف رقَّ قراحُهُ
وجرى على النيرانِ من وجناته
ولصحن كافور السوالف، إذ غدا
وعليه رَقْمُ المسك من نملاته
قد قارن الريحانُ عقربَ صدغِه
وسعى على المرّيخ من زَهَراته
وحمى يمانيُّ اللحاظِ شقيقَهُ
وحجازُ عارضه حمى شاماتِه
رشأٌ يُريكَ نوافثًا من طَرْفهِ
ونوافذًا يمرقْنَ من لَحَظاته
ما فيه عيبٌ، غيرُ سقمِ جفونِهِ
ونحولِ خَصْرٍ يحتسي قصفاته
لا تعجبوا إن مال سُكْرًا عِطفه
ميلانَ غصن الروض، من سَكَراته
فبِفيهِ خمرةُ ريقه معسولةٌ
طُبخَتْ بنار الخدِّ بين شِفاته
ومهفهفِ الأعطاف كان منادمي
فيه صدوق الوعد، في ميقاته
والراحُ ينضحُ، جامها متنافحٌ
تُهْدي ذكيَّ المسكِ من نَفَحاته
وكأنما ثغر الأقاح حَبابُها
أو رشحُ خَدَّيه على كاساته
والعودُ ينفحُ في المجامر نَشْره
عبقًا، ويحكي الطيرَ في رنَّاته
والروضُ يسحبُ فضلَ ذيلِ ربيعهِ
ويفيض جعفرهُ على حسناته
والوَبْلُ ينظم في الكِمام جواهرًا
والطَّلُّ ينثر دُرَّ مُنتشراته
والغصنُ يرفع للزهور أكلَّةً
ويجرّ ذيلَ التيهِ في رَكَعاته

□□□

ابن الحاج النميري

٧١٣ - ٧٩٠هـ / ١٣١٣ - ١٣٨٨م

- إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى النميري المشهور بابن الحاج.
- ولد في غرناطة في الأندلس.



- رحل باتجاه المشرق مرتين وكتب عما شاهده، وقد أفاد من رحلتيه هاتين أن التقى جمهرة من علماء المشرق فضلاً عن أداء فريضة الحج وقد قال عنه ابن الخطيب «..... وأخذ في رحلتيه عن أناس شتى يشق إحصاؤهم» لذا اعتبره بعضهم من أصحاب الفهارس لما في آثاره من تسجيل لأسماء هؤلاء العلماء والشيوخ، ومن هؤلاء: خليل التوزري إمام المالكية بالحرم الشريف، وشهاب الدين ابن فضل الله العمري، والصلاح الصفدي، وجمال الدين يوسف بن الزكي، وعبدالرحمن المزي، والحافظ علم الدين محمد بن يوسف البرزالي، والحافظ شمس الدين الذهبي، والأمير قطب الدين أبوإسحق صاحب الموصل، وعماد الدين الكندي، والقاضي يحيى بن محمد الصنهاجي، وأبوحيان الغرناطي الذي صادفه في مصر، وكان لقاؤه بهؤلاء العلماء في كل من الحجاز ومصر والعراق والشام.
- عمل كاتبًا في بلاط السلطان المريني أبي الحسن بعد عام (٧٤٠هـ) وخلال عمله ألف ابن الحاج «مذكراته»، وبعد رحلته الثانية عمل كاتبًا في بجاية ونال الحظوة والتقريب في قصر أبي عنان، ثم عاد إلى الأندلس ليعين فيها قاضيًا بالتسليم قرب غرناطة.

الإنتاج الشعري:

- ديوان إبراهيم بن الحاج النميري: تحقيق عبدالحميد عبدالله الهرامة - المجمع الثقافي - أبو ظبي ٢٠٠٣.

الأعمال الأخرى:

- من مؤلفاته: «التورية على حروف المعجم»، و«شرح الحماسة لأبي تمام»، و«مثاليث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين»، و«اللباس والصحبة» جمع فيه طرق الصوفية، و«جزء في بيان اسم الله الأعظم»، و«روضة العباد المستخرجة من الإرشاد»، و«نزهة الحدق في ذكر الفرق»، و«إيقاظ الكرام بأخبار المنام»، و«الوسائل ونزهة المناظر والخمائل»، و«الزهرات وإجابة النظرات» و«تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح».

مصادر الترجمة:

- إبراهيم بن موسى الشاطبي: الإفادات والإنشادات - تحقيق: محمد أبوالأجفان - مؤسسة الرسالة - بيروت (ط٢) ١٩٨٦.
- علي بن عزيم : مختارات ابن عزيم الأندلسي - تحقيق: عبدالحميد الهرامة - الدار العربية للكتاب - طرابلس ١٩٩٣.
- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي - دار العلم للملايين - بيروت (ط٧) ١٩٩٧.
- لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة - تحقيق: إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت ١٩٨٣.
: الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق: محمد عبدالله الخاني - مكتبة الخانجي - القاهرة (ط٤) ٢٠٠١.
- يوسف بن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - تحقيق: محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٤.

نصر مبين

في تهنئة ابن الأحمر بالنصر

هنيئًا بنصر الله قد جاء والفتحُ
وصاحبَكَ اليُمْنُ المواصل والنجحُ

ووافتك بشرى إثْر بشرى كما أتى
على أثَر الفجر الذي صدق الصبح

وأبدى لك الصنع الجميل عجائبًا
فعزَّ مثال الوصف وامتنع الشرح

ولم أنسَ لا أنسَ السُّرى وكتائبًا
لزند المنايا كلّما زحفتْ قدح

لواحقَ من نسل «الوجيه» و«لاحقٍ»
هي السُّفْن في بحر العجاج لها سبح

عليها من الأبطال كل مُباسلٍ
على بأس ليث الغاب ضُمَّ له كَشح

وذي لُجَبٍ جمّ الصواهل أرعنٍ
إذا لمحته الشمس أعجزها اللمح

من التاركين الأرضَ تُشرق بالقنا
وسُحب الدم الموّار فيها لها سبح

رميتَ بهم «إشبيليَةْ» وحصونها
فثُلَّت عروشُ الكفر واستُنزل الصرح

وجاؤوا بها ملء الفضاء مغانمًا
لليل عجاج الخيل من فوقها جُنْح

وصبَّحتَ من «إطريرةٍ» ذات منعةٍ
بها لم يُـرَجَّ لا صـلاحٌ ولاصلح
ودارت بها دورَ الوشاح جحافلٌ
لنار المنايا في الـوجوه بها نفح
معوَّدةٌ طعنَ الفوارس في الوغى
وضربًا به قد جرَّح الدارعَ الجرح
وحادثتَ بالحرب الزبون معاقلاً
بأوجهها بالنبل مذ حُودثت نضح
فسرعانَ ما جرَّت على الأهل أهلها
هزائمَ مسرورٌ بها السيف والرمح
ومُـلِّكَ من أسـوارهـا كـلُّ شاهقٍ
لمـالـكـه حُـسـنٌ بـدا ولـهـا قبح
وجاست على جُردٍ خلال ديارها
كماةٌ لهم سعيٌ زكا ولهم كدح
وأمست كأن لم تغنَ بالأمس واغتدت
فلا ربعُها ربعٌ ولا سرحها سرح
وحـاق مُسـيء المكـر فيه بأهله
فحظّهمُ الخسران بالمكر لا الربح
وفي يومك الثاني زحفت لمعقلٍ
إلى النطح يسمو أو يُتاح له نطح
تحصَّـنـتِ الـكـفّـار فيه ومـا دروا
بفتحٍ لأبـواب الـسعود بـه فتح
ورامـوا نجاةً منك فيه، وما دروا
يُتيح نجاةَ المرء حِلمك والصفح
فذاقوا وبال الأمر واستشعروا التي
تغادر صرعى في البطاح لهم بَطح
ودارت عليهم أكؤس الحتف مُرّةً
فمن سُكرها الصاحون في الحرب لا تَصحو
ونُبّئتُ أن الروم جاءت جيوشها
إليك ضحًى والعاديات لها ضبح

فآثرتَ محضَ الحزم بالعزم صادقًا
وأمرك جدٌّ حيث لا يُحمد المزح
ووافيت مرتادًا معسكرك الذي
لوُرق التهاني فوق أعلامه صرح
وبـــوَّأتَ فيـه المؤمـنين مقـاعـدًا
لأي قـتـالٍ آيـةَ الـصـدق لا يمحو
وكـنـتَ لـعـمـري لـلأهـمّ مقـدّمًا
فلا طعنَ في الطعن المعدّ ولا قدح
إلى أن كفى الله القتال وأُخمدت
عواقبُ لم يغفل مراعاتها النصح
فعدتَ إلـى حـرب الذين تمنَّعوا
وللسُّوق والأعناق ما بينهم مَسح
فأنزلتَهم أسرى على حكمك الذي
بـه لـلـردى منـعٌ وفـي طيّه منح
وسِيقوا ألوفًا يذكر الحشرُ عرضَهم
على نـار حـزنٍ لايـغـبّ لها لفح
وكَفَّت أكفُّ السبي منهم عقائلاً
حِسانًا عليهنَّ القلائد والوُشْح
وأدركتَ ثأر الدين في القوم مسَّهم
كما مسَّ أسرانا بغدر العدى قرح
ووافتك أرسال النصارى خواضعًا
بروعهمُ ينحو الأسـى أيّـةً تنحو
بكل كـتـابٍ كلما خُـطَّ صفحُه
تهلَّلَ للسيف اليماني به صفح
وأبدوا لك الإخلاص سمعًا وطاعةً
وذاك كمال الفتح لا عُـدِمَ الفتح
وجئتَ بأسرى ضاقتِ الأرض عنهمُ
فما نهضَ الوادي بهم لا ولا السفح
وأظـهـرتَ عـزَّ الدين لما أجزتهم
على طُرقٍ رِيعت بها الريح والضحّ

ودوَّختَ أرض الروم محتملاً لهم
عليها وللحرب العَوان بهم لقح
ولولاك ما رِيعت وذلَّت جموعُهم
ولا ملئت رعبًا بلادهمُ الفُسْح
صنائعُ لم تحكِ التواريخُ مثلها
ولا حدَّثت عن شبهها الألسن الفُصْح
ولـلّـه يـا لـلـه مَـقـدمـك الـذي
له الطائرُ الميمون والسَّنْح لا البرح
وما كنتَ إلا الشمس والطرفُ أفقها
ونقعُك سحبٌ بالدماء لها سفح
وقـام بـأمـر الـلـه منـك خليفةٌ
رفيع عماد الفخر للمجتدي سمح
محمدٌ المحمود ذو الشرف الذي
بعطف العلى من جود مُحرزه رشح
من القوم ما بين الخيام تخالهم
حياءً من الجارات مرضى وقد صحّوا
من العرب الغُرِّ الوجوه تُظلّهم
بنودهمُ لا البان كلا ولا الطلح
أولـئـك أنـصـار الـنـبيّ تـزامـروا
فلا البخلُ مما يعرفون ولا الشحّ
وجاء من الله الكتاب بمدحهم
ألا إن مدح الله، جلَّ، هو المدح
بـقـيـتَ، أمـيـرَ المسلـمـين، مهنَّأً
بـغُـرّ فـتـوحٍ لا يغيب لـهـا قـدح
ودامت لك البشرى وأُيِّدت ما ذكا
لعَرْف الصَّبا بالزهر غِبَّ الحيا نفح

****

عفاء لدنيا

في رثاء أبي عبدالله بن عاصم

خطوبٌ على قدر المصاب منالها
فلا غروَ أن أعيا النفوسَ احتمالُها
سرت تبعث الأشجان نحويَ مَوْهنًا
فما راع مني القلبَ إلا اشتعالها
وشَنَّت من التبريح والوجد غارةً
يضيق على ربّ الحروف مجالها
أأطلب من ليلي الصباحَ ودونه
لـيـالـي هـمـومٍ لا يـتـاح زوالـهـا
كأني على نابي المضاجع في الدجى
أُسـاور رُقْشًـا لا يَـغِـبّ اغتيالها
ألهفي لسَفْرٍ خلَّفوا الدار بلقعًا
تنوح على الحيّ الحِلال حَلالها
وركبٍ أناخوا العيس في ساحة البِلى
فـفـاءت عليهم بـالمنون ظلالها
ومـا وردوا غيرَ الحِمام مَشارعًا
عـزيـزًا علينا أن يُـبـاح نِهالها
فمن مُبـلـغٌ ذاك الجـنـاب ألـوكـةً
تعاظمَ في شجوي وحزني اغتمالها
وحقّكمُ يـا جيرةَ السرحة التي
قـريـبٌ لمـن خلّفتموه احتلالها
يمينًا لقد صارمتُ عيشيَ بعدكم
ومـا سرَّ نفسي بالبقاء اشتمالها
وبالشِّعْب من «غرناطةٍ» قبرُ أوحدٍ
به عُدِّدت في الصالحات خِلالها
كريمٌ إذا غَرَّت عن الآمل اللُّهى
فما بسوى كفّيه يُلفى ابتذالها
هـمـامٌ يُـزيـر الخـيـل قُـبّـاً بطونها
سوابحَ في مجرى الدماء اختيالها
وأيُّ إمـــامٍ مـرشـدٍ بـعـلـومـه
هدى كلَّ نفسٍ مُستفيضٍ ضلالها
...

شهدتُ لقد حلّت بشِعْب عشائري
شَعوبٌ وأودى بالنزيل نِزالها

فقم بي وشُدَّ الكُور فوق شِملّةٍ
سريعٍ تراميها بعيدٍ كلالها

تُفرّق أيديها الحصا وسط نفنفٍ
يخون به الأُسْد الغضاب صِيالها

من الشدقميّات الرواسم جسرةٌ
شديدٌ على قطع الفلاة مِحالها

وجدَّ السُّرى في كل بيداءَ مَجهلٍ
تَهيل كأمواج البحار رمالها

لعلّيَ لا ألقى لخاليَ ناعيًا
وهيهات تلك الحالُ ما إن إخالها

وأنّى بها بعد التي استكَّ مسمعي
غداةَ أتى فوق المقال مقالها

عفاءً لدنيا تخدع المرءَ بالمنى
كما يخدع الهِيم اللواغيب آلها

وتبّاً لها تبّاً مدى الدهر عيشةً
يعود إلى النقص المُليم كمالها

لعمرك ما الأيامُ بعد ابن عاصمٍ
بتلك التي رقّت وراق جمالها

ولا الحيُّ ذاك الحيّ هيهات إنما
مضت بهجةُ الدنيا وغاض نوالها

لتبكِ عُفاةُ الحيّ غيثَ ربوعها
إذا أَثْلها أضحى حطامًا وضالها

لتبكِ اليتامى من بكيتُ فإنه
ملاذ اليتامى في السنين ثِمالها

لتبكِ السيوف البيض من بضرابه
يحادثها يومَ القراع صِقالها

لتبكِ رماح الخَطّ من بطعانه
تُثقَّف في عُوج الضلوع طِوالها

أجِدَّك يا بنَ الأكرمين رحلت عن
خيامٍ تُجير الخائفين رجالها

أجدَّك خلّفتَ الربوع دوارسًا
إذا سُئلتْ لم يُجْدِ يومًا سؤالها

أجدَّك لا تلتاح نارك في الدجى
وكم قد هدت خُوصَ الركاب جبالها

أجدّك لا تلقى الوفود مرحّبًا
وقد رُميت دون القباب رِحالها

لمن يخضع الأبطال بعدك في الوغى
وتُذعن مهما آنَ يومًا قتالها

لمن تمرح الجُرد العتاق ومن لها
إذا كان من ذوب النجيع انتعالها

(بمن تَشرف) الأشعار والخُطب التي
يُقصّر في النادي بـ«قُسٍّ» مُطالها

فآهًا على العلياء والبأس والندى
ثلاثُ خِلالٍ قد أُتيح اختلالها

ولهفي على المولى الذي حسناته
قليلٌ لمثلي أن يُعاد مِثالها

عليَّ لذكراه جوًى ومدامعٌ
يباري شآبيبَ الغمام انهمالها

وزفرةُ مغرًى بالشجون كأنما
له مهجةٌ بالشجو ينعم بالها

أخالاه! لا واللهِ ما الحزنُ هامدٌ
عليك، ولا بلوايَ يُرجى انتقالها

ولي بعدك التأبينُ جهدٌ مقصّرٌ
دعته القوافي لو أُبيح وصالها

وكيف وأفكاري عن الشعر أجفلتْ
كما أجفلت وسطَ الفلاة رِئالها

وليس سوى الإغضاء حيّاً وميّتًا
تُنيل به منك المنى فأنالها

عليك سلامُ اللهِ ما خامرَ الهوى
نفوسًا بسكّان العُذَيب خَبالها

****

رسول المحبة

في مديح الرسول ﷺ

سقى الله بالأجرع الفَرد دارا
لأمـر بها الشوقُ والبرق ثارا

وقفتُ بها مُرسلاً عَبرةً
تُطيل السحائب منها اعتبارا

ولم أرَ من قبلُ ذا الدمع ماءً
يؤجّج في القلب منّيَ نارا

وكم ظِلْتُ فيها أنا والنسيمُ
غداةَ التفرّقِ نشكو ضرارا

كأن اللواحظ أعدَيْننا
فكلّ عليلٍ يُديم اعتذارا

وكم جئتُها خلف برقٍ لموعٍ
كلانا لعمريَ يحدو القطارا

وفوق الرواحل أحوى الجفونِ
ببُعدٍ وإن ظّل يُدني مَزارا

حكى الظبي لحظًا وجيدًا وفَرْعًا
وبالرغم منه حكاه نِفارا

ولم أنسَ لا أنسَ يومَ النوى
ذوائبَ في ليلها الصبُّ حارا

وحسنَ الثغور التي خلتُها
حَبابًا على خمرة الريق دارا

وقالوا هو الدرّ أصدافه
قبابٌ فأجريتُ دمعي بحارا

وكم بالحمى من غزالٍ رعى
بنجدٍ فؤادي وخلّى العَرارا

وشمسٌ توارت لنا بالحجابِ
ولكنْ حجاب القلوب الغبارا

فأعقبَها الليل وهو القتامُ
يُقلّ السحائبَ وهي المهارى

ويا من رآني أجدّ اصطباحًا
بكأس الغرام وأبلى اصطبارا

وعاطلةِ الجِيد حلّيتُها
بشِعري نظامًا ودمعي نِثارا

وجاهرت بالحبّ لما بدت
فلم أرَ بدرًا يُحبّ السِّرارا

وقالوا حكى اللحظَ منها فؤادي
صدقتم ولكنْ حكاه انكسارا

فيا مُبليًا عمرَه في الطعانِ
كفتك الطعانَ قُدودُ العذارى

ويا كاسرًا لي جفون الظُّبا
كفى الصبّ كسر الجفون احورارا

وما اشتعل الرأس منيَ شيبًا
فأودعَ إلا ضلوعي السِّرارا

وقد نبتت حبّةُ القلب في
خميل مسيل الدموع اذّكارا

لعمرُ الهوى والعهود التي
بذكرى لها ساكنُ الغور غارا

لقد فرّقَ البين إلا شجوني
وبلّت دموعيَ إلا الأوارا

وأَرّقني والعيون هجوعٌ
حَمامٌ كقلبي بذي الأثْل طارا

وقد هجته مثل ما هاجني
فأبكي مِرارًا ويبكي مرارا

ومما نفى النومَ عنيَ برقٌ
ظننناه بين الثنايا افترارا

وقد أعجزَ السحبَ عن بذله
فنهدي لُجينًا ويهدي نُضارا

لحا الله قلبيَ كم ذا الهوى
وقد ردَّ دهري شبابي المعارا

وعاد نُصولاً بطول الخِضابِ
فأدرك في مُنغص الشيب ثارا

أرى الطبّ عارًا ولو قلت آهًا
على زمن الحيف لم يكُ عارا

ربوعٌ متى ثريت بالحجيجِ
جعلنا الشَعور عليها شِعارا

من الموقدات جِمارَ الهوى
إذا ما رمى الصبُّ فيها الجِمارا

سفكنا الدموع بها والدِّما
فراقت خدود البطاح احمرارا

ولله جمعٌ وجمعي بها
لشمل المحبين أمسوا حيارى

وموقفنا والدجى مسكةٌ
فكفُّ الصباح تزيد انتشارا
وقد فجّر الفجر نهرَ النهارِ
فغاصت حصا الشُّهب فيه جِهارا
أأمَّ القُرى هل لبذل القِرى
سبيلٌ فما عبتُ عنك اختيارا
ولكنْ ذنوبي أطلنَ انتزاحي
وصيَّرنَ أيام أنسي قِصارا
وكم حِجّةٍ أصبحت حُجّةً
عليَّ فلم تُجدِ إلا اعتذارا
بنفسيَ ركبٌ ببرح الهوى
تراهم سكارى وما هم سكارى
صحبتهمُ والدجى فاحمٌ
فأشعلت وجديَ حتى استنارا
فلله عينُ امرئٍ أبصرتْ
رواحلها في بَراها تَبارى
طوالعُ من كل فَجٍّ عميقٍ
بشُعْثٍ تمدّ الأكفّ افتقارا
أهلّةُ سَيْرٍ تُسمّى مطايا
بأفلاك أفقٍ تُسمّى قِفارا
ولما أتينا نؤمُّ العقيقَ
جرى كاسمه دمعُ عيني ابتدارا
وأسرى إلى الحَرّة الصبُّ يطوي
على الوجد فيها ضلوعًا حِرارا
وأنضيتُ ثوبَ الهوى إذ دنا
إليَّ النقا والتمستُ الديارا
وعند المصلّى أعدت الصلاةَ
على المصطفى والتثمت الجدارا
وأقبلتُ أهدي بباب السلام
إليه سلامًا وأُبدي الوقارا
وقلت أيا نفسُ لا تجزعي
ولا تسأمي للخلاص انتظارا
فإنّ الشفاعة قد أُوجبت
لكلّ امرئٍ ذلك القبرَ زارا

وهذا النبيُّ الكريم الذي
يُقيل العِثار ويرعى الجوارا
رسولٌ أتى رحمةً للورى
على حين خافوا بواحًا بوارا
رفيعُ المناسب عمّاً وخالاً
منيع الجوانب أهلاً وجارا
نمته إلى الغُرّ من هاشم
مَحاتدُ طالت وطابت نِجارا
وكُثْر المعالي لذا المجد نَزْرٌ
إذا ما غدا يومُ فخرٍ نزارا
ولست أبالي بزُهْر النجوم
إذا زهرةُ الحمد أعلت فخارا
وقد رحم الله أرحامها
بنورٍ أضاء وما أن توارى
فلو زاره البدر بانَ له
من الشمس عنه القصور اضطرارا
شفيعٌ إذا النارُ نار الجحيم
أقامت شَرارًا ولفَّت شِرارا
ولولا حيا الغيث أضحت هشيمًا
خمائلُ زهرٍ شذاها استدارا
لمولده جلَّ من مولدٍ
خبت نارُ فارسَ والماء غارا
وإيوانُ كسرى تداعى سقوطًا
فأبدى انكسارًا وذلَّ اقتسارا
وحُقّ لذي العقلِ حسنُ افتكارٍ
إذا ما أبى العقل إلا افتكارا
ولاحت لآمنةٍ أُمّه
قصورٌ ببُصرى تراءت قرارا
ويا حسنَها بعد إذ جاءها
يصاحب في البِيد قومًا تِجارا
وأرخت ستورًا عليه الغمامُ
فكانت تظلّله حيث سارا
وشُقَّ له البدر نصفين لما
تَمارى بمكةَ من قد تمارى

وصبـحًـا أشـــار لأصـنـامـهـا
فـظـلّـت سـواقـطَ لـمـا أشـــارا
وألــقـى أنـامـلـه فــي الإنــاءِ
فـأنـبـعَ مـنـهـا مِـيـاهًـا غِــزارا
ولو فاض حسّاً كما فاض معنًى
نَــداه لـفـاق الـبـحـار انـفـجـارا
هــو الـقـاتـل المحــلَ لمـا دعـا
فـصيَّـر فـي الـغـابـريـن الـغـبـارا
وأرسـلـهـا فـي بُــرود الـنـسـيـم
جـواريَ سُـحـبٍ هـويـنَ ابتكارا
وحــنَّ لــه الجــذع يــومَ الـنـوى
حنينَ الـرواحـل تحـوي العِشارا
وجـاءت لـه الـشـجـرُ الـعـاريـاتُ
تجـرّ عــروقًــا مُـلـئـنَ ثـمـارا
ولمــا قـضـت حـقَّـه أسـرعـت
بـرُجـعـى امـتـثـالاً لـه وائـتـمـارا
وسـلّـمَ جـهـرًا عـلـيـه الحـجـارُ
فـأبـهـجَ أهـل الحـجـا والحـجـارا
وسـبَّـح فـي الـكـفّ مـنـه الحصا
فما كـفَّ لكن أخـا الـبِـرّ بـارى

□□□

ابن حَجَر العسقلاني

٧٧٣ - ٨٥٢هـ / ١٣٧١ - ١٤٤٨م

● شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني.

● ولد في القاهرة، وتوفي فيها.

● فقد أمه قبل أن يتم الرضاع، وأباه وهو في الرابعة من عمره، فتولى كفالته التاجر «زكي الدين الخروبي» وهو من أصدقاء أبيه.

● حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ التاسعة، وفي الثانية عشرة رحل مع «الخروبي» إلى الحجاز لتأدية مناسك الحج، حيث درس في مكة المكرمة الحديث الشريف على بعض علمائها، وبعد أن عاد إلى القاهرة درس على عدد كبير من علماء ذلك العصر من أمثال: «سراج الدين بن الملقن» و«البلقيني» و«العز بن جماعة» و«الشهاب البوصيري» و«برهان الدين الأنباسي»، ثم ارتحل إلى الشام حيث استمع إلى «محمد بن محمد البالسي»، و«فاطمة بنت محمد المنجي التنوخي»، و«فاطمة بنت محمد عبدالهادي»، وغيرهم، ثم رحل إلى اليمن بعد أن جاور بمكة المكرمة، واتصل بـ «مجدالدين الشيرازي» صاحب «القاموس المحيط» حيث درس اللغة على يديه، وقد أفضى هذا الإقبال على طلب العلم، وتنوع مصادره إلى أن ذاعت شهرته في الآفاق، وأصبح حجة في علم الحديث، وعلم الرجال والتفسير.

● قام بتدريس الحديث والتفسير في كل من مدارس: الحسنية، والمنصورية، والجمالية والشيخونية، وبجامع القلعة والصالحية، وغير ذلك من المدارس الشهيرة بمصر، كما تولى مشيخة المدرسة البيبرسية، والإفتاء بدار العدل، وتولى منصب القضاء مدة عشرين عامًا، شهد له فيها الناس بالعدل والإنصاف، وقد زامن ذلك توليه الخطابة في الجامع الأزهر، ثم في جامع عمرو بن العاص.

الإنتاج الشعري:

● له ديوان شعر كبير بعنوان «ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني» طبع في حيدر آباد في الهند، ثم طبع في دار الصحابة بطنطا، بتحقيق صبحي رشاد عبدالكريم عام ١٩٩٠.

الأعمال الأخرى:

● بلغت تصانيفه المئة والخمسين وتزيد، ومنها: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، في نيف وعشرين مجلدًا، و«تغليق التعليق» و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» و«تجريد التفسير» و«تقريب الغريب» و«إتحاف المهرة بأطراف العشرة» في ثمانية مجلدات و«أطراف الصحيحين» و«أطراف المختارة» و«تهذيب التهذيب» في ستة مجلدات و«تقريب التهذيب» و«تعجيل المنفعة برواية رجال الأئمة الأربعة» و«الإصابة في تمييز الصحابة» في خمسة مجلدات، و«طبقات الحفاظ» و«الأحكام لما في القرآن من الإيهام» و«تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» وغيرها.

مصادر الترجمة:

● ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب - شرح: عصام شعيتو - دار ومكتبة الهلال ودار البحار - بيروت ٢٠٠٤.

● جلال الدين السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان - تحرير: فيليب حتي - المكتبة العلمية - بيروت (د. ت).

● يوسف بن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - تحقيق: محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٤.

: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة (ط٢) ٢٠٠٥.

يا سيد الرسل

في المديح النبوي

ما دمتُ في سفن الهوى تجري بي
لا نافعي عقلي ولا تجريبي

برح الخفاء بحبّ مَن وَلَهي به
أورى توقّدَ مهجتي ولهيبي

يا عاذلي أَوَ ما علمتَ بأنني
لا أسمع المكروه في المحبوب

طَرْفي تنزَّهَ في الحبيب ومسمعي
عن كل لومٍ فيه أو تأنيب

دع عنك ما تهذي به عندي فما
كُلِّفتَ إصلاحي ولا تهذيبي

أخطأتَ في عذلي لأن مصيبتي
من سهم طَرْفٍ للفؤاد مُصيب

ما كان أعذبَ مدّةً مرّت لنا
إني لأستحلي بها تعذيبي

أيامَ لا روضُ الجمال ممنَّعٌ
عني ووردُ الخَدّ كان نصيبي

أجني عليه ومنه زهرَ تواصلٍ
لا أختشي معه دنوَّ مُريب

عُوِّضتُ عن قربي نوًى وعن الرضا
سُخطًا وما عهدُ اللقا بقريب

يا من توقَّفَ عن زيارة حِبِّه
من خوف واشٍ أو حِذار رقيب

ماذا عساهم أن يقولوا بعدها
قد أبصروا شجني وفرط نحيبي

إلا إشاعتَهم بأنك قاتلي
صدقوا فأنت معذّبي وحبيبي

فارفقْ بمشتاقٍ بحبك مُفرَدٍ
يا صاحبَ الحسن الغريب غريب

لولاك ما قلتُ اسكبي يا مقلتي
غيثًا ويا كبدي بنارك ذُوبي

وسقامُ جسمي بالبكاء لقد نما
من جري نهر مدامعٍ وصبيب

وضللت معْ علمي ودمعي ما هدا
وطغى ولم تُطفِ الدموع لهيبي

دمعي وحقِّك سائلٌ قربَ اللقا
ماذا يضرّك أن تكون مُجيبي

بيني وبينك في المحبة نسبةٌ
فاحفظْ عهود تغزُّلٍ ونسيب

ما أنت في سعةٍ وحِلٍّ إن تكن
حرَّمتَ وصل المغرم المكروب

قد جُرتَ لما أن عدلت لغيره
عنه فليت جفاك بالتدريب

أسرفتَ في هجري لعلمك أنني
ليس التسلّي عنك من مطلوبي

واللهِ ما لي من هواك تخلُّصٌ
إلا بمدح المصطفى المحبوب

الحاشرِ الرَّؤُف الرحيم العاقب الـ
ـماحي رسومَ الشرك والتكذيب

ذي المعجزات فكلُّ ذي بصرٍ غدا
لصوابها بالعين ذا تصويب

كالشمس ضاءت للأنام وأشرقت
إلا عن المكفوف والمحجوب

وانشقَّ بدر التمِّ معجزةً له
وبه أتاه النصر قبل مغيب

وبفتح مكةَ قد عفا عمّن هفا
فأتوه بالترغيب والترهيب

وأزال بالتوحيد ما عبدوه من
صنم برأيٍ ثابتٍ وصليب

وسقى الطغاة كؤوس حتفٍ عجَّلت
للمؤمنين ذهابَ غيظ قلوب

لم يحتموا من ميم طعناتٍ ولا
ألـفـاتِ ضـربـاتٍ بـلام حـروب
نـطق الجـمـاد بـكـفّه وبـه جرى
مــاءٌ كـمـا يـنـصبّ مـن أنـبـوب
والـعـينُ أوردهـا وجـاد بها كما
قد ردَّهـا كالشمس بعد غروب
يـا سـيّدَ الـرسـل الـذي منهاجه
حـاوٍ كـمـالَ الفضل والتهذيب
أُسري بجسمك للسماء فبشَّرتْ
أمـلاكـهـا وحـبـتـك بـالـتـرحـيـب
فعلوتَ ثـم دنـوت ثـم بلغت ما
لا ينبغي لـسـواك مـن تقريب
وخُصِصتَ فضلاً بالشفاعة في غدٍ
ومـقـامـك المحـمـود والمحـبـوب
والأنـبـيـاءُ وقـد رُفـعـتَ جلالةً
في الحشر تحت لوائك المنصوب
يحبوك ربُّـك مـن محامده التي
تُعطى بها ما شئتَ من مطلوب
ويقول قُلْ يُسمَعْ وسلْ تعُطَ المنى
واشـفـعْ تُشفَّعْ في رهـين ذنوب
فاشفعْ لمادحك الـذي بك يتّقي
أهــوال يـوم الـديـن والتعذيب
فـلأحـمـدَ بـن عـلـيٍّ الأثــريّ في
مأهول مدحك نظمُ كل غريب
قـد صـحَّ أن ضـنـاه زاد وذنـبُـه
أصـل السقام وأنـت خير طبيب
صلّى عليك وسـلَّـم الله الـذي
أعـطـاك فضلاً ليس بالمحسوب
وعلى القرابة والصحابة كلهم
مـا أُتـبـع المـفـروضُ بـالمـنـدوب
من كل بحرٍ في الفضائل مهتدٍ
بـالحـق بَـــرٍّ بـالـعُـفـاة أريـب
مـا أطـربـت أمـداحـهـم مُدّاحهم
واشـتـاق مـهـجـورٌ إلـى محبوب

****

عذرًا

يعتذر عن هجره الشعر

أيـا سـيّدًا شِـيدت معاليه رفعةً
وجَـرَّت لها فـوق السِّماك ذيـولُ
لكم في العلا والفضل أيّ نباهةٍ
ولـلـضـدّ عـنـد الـعـارفـين خمول
أتـانـيَ لغزٌ منك للعقل مدهشٌ
قــؤولٌ لمـا قـال الـكـرام فعـول
تـنـظَّـمَ فـي سـلـك الـبـلاغـة درّةً
وكم لك عندي في القلائد لُولو
يقول جوابًا لاعـتـذاري تهكُّمًا
لأنـــت مـلـيٌّ بـالجـواب كفيل
نعم كان لي ميلٌ إلى الشعر برهةً
وأبـكـار فـكـري مـا لـهـنَّ بُـعـول
فشعَّبَ مني فكرتي عبءُ منصبٍ
تحـمّـلـتـه فــي كـاهـلـيَّ ثـقـيـل
وفصلُ قضايا في تفاصيل أمرها
فُضولٌ وكم عند الخصوم فُضول
ومجلسُ إمـلاءٍ وخطبة جمعةٍ
ودرسٌ وتـعـلـيـلٌ لـه ودلـيـل
حـديـثٌ وتفسيرٌ وفـقـهٌ قوامها
عـقـولٌ تـعـانـي فـهـمـهـا ونُـقـول
لمستنبطـــات الـفـقـــه مُستبطناتها
تـــزور فـإن لـم أضـبـطـنَّ تـزول
وطـالـبُ إسـمـاعٍ وفتيا وحـاجـةٍ
وطالب علمٍ في البحوث سؤول

وكـلُّـهـمُ يـرجـو نجـاحَ مُـراده
ويصخب إن أرجأته ويصول

☆☆☆☆

وهـذا إلـى أوقـات نـومٍ وراحـةٍ
وأكـلٍ وشُـربٍ يعتريه ذهـول

وفي نَفَسٍ ترويحُ نفسٍ أَجَمْتها
وتـأنيس هـزلٍ هـزلـهُـنَّ هزيل

وأمـرُ مَـعادي رحت فيه مفرِّطًا
وأمـر مَـعاشي قـد حـواه وكيل

ولا تـنسَ أبـناء الـرسائل إنهم
متى عُـوِّقـوا نحو العقيق يميلوا

فهل لامـرئٍ هذي تفاصيل أمره
فــراغٌ لـنظـمٍ فــارغٍ فيـقـول

وأنّى ترى من ليس بالشعر شاعراً
تُـطيـع مَـفـاعيـلٌ لـه وفَـعـول

ولستُ الذي يرضى سلوكَ خلاف ما
يـدلّ عليه العـقـل وهـو خليل

فأنظم مـا لـو قـاله الغير مسندًا
لـعادَ وسيفُ الطرف منه كليل

فعذرًا فما أَخَّـرتُ نظم جوابكم
لـبـخلٍ ولـكـن مـا إلـيـه سبيل

وقد صحَّ قولي إن جسميَ مُنحلٌ
وجسمُ انتحالي للقريض نحيل

فإن أنت لم تعذر أخاك وجدتَه
وإيـثـاره للصبر عـنك جميل

ولغزك في القلب استقرَّ مقامه
وثـلـثـاه لـلقـلب الـذكـيّ مثيل

نـفيسٌ فـإن قـلَّبتَه فـنفـوسُ من
يـعـاني الـصبا ظـلَّت إلـيـه تميل

وقلِّبْه أيضًـا تـلقَ عـون مسافرٍ
يـطيـب إذا هـبَّـت عـليه قَـبـول

بقيتَ صـلاحَ الدين تمنع بالنهى
فـسـادًا لـه فـي الفاضلين دخـول

ولِـمْ لا يحوز العقلَ أجمعَ سيّدٌ
غـدا حـمـزةٌ عـمّـاً لـه وعـقيـل

****

مصاب

في رثاء الإمام عبدالرحيم العراقي

مـصـابٌ لـم يـنـفِّسْ لـلـخِـنـاقِ
أصــار الـدمـع جــارًا للمآقي؟

فَـروضُ العلم بعد الـزهـو ذاوٍ
وروحُ الفضل قد بلغ التراقي

وبـحـرُ الـدمـع يـجـري بـانـدلاقٍ
وبـدرُ الصبر يسري فـي المحاق

ولـلأحـزان بـالـقـلـب اجـتـمـاعٌ
ينادي الصبر: حيَّ على افتراق

فـأمّـا بـعـد يــأسٍ مـن تــلاقٍ
فـهـذا صـبـره مُـــرُّ المــذاق

لقد عظمت مصيبتنا وجاءت
تسوق أُولـي العلوم إلى السباق

وأشـــراطُ الـقـيـامـة قـد تـبـدَّت
وأذَّن بـالـنـوى داعـي الـفـراق

وكــان بمـصـرَ والـبـيـت الـبـقـايا
وكـانـوا بالفضائل في استباق

فـلـم تُـبـقِ المـلاحـمُ والـرزايـا
بــأرض الـشـام لـلـفـضـلاء بـاق

وطـاف بـأرض مـصـرٍ كـل علم
بـكـأس الحَــيْنْ للعلماء ساقي

فأطفأتِ المنونُ سراج علمٍ
ونورٍ لاح لا داعي النفاق
وأخلفتِ الرجا في ابن الحسين الـ
إمامِ فألحقتْه بالسباق
فيا أهلَ الشآم ومصرَ فابكوا
على «عبدالرحيم بن العراقي»
على الحَبْر الذي شهدت قُرومٌ
له بالإنفراد على اتّفاق
ومن فُتحتْ له قِدْمًا علومٌ
غدت عن غيره ذات انغلاق
وجاز إلى الحديث قديمَ عهدٍ
فأحرز دونه خيلَ السباق
وبالسبع القراءات العوالي
أقلَّ بها إلى السبع الطِّباق
فسلْ «إحيا علوم الدين» عنه
أما داواه مَعْ ضيق النطاق
فصيَّرَ ذكرَه يسمو وينمو
بتخريج الأحاديث الرقاق
وشرحُ «التِّرمذيّ» لقد ترقّى
به قِدْمًا إلى أعلى المراقي
ونظمُ «ابن الصلاحِ» له صلاحٌ
وهَذا شرحُه في الأفق راق
وفي نظم الأصول له وصولٌ
إلى منهاج حقٍّ باستباق
ونظم السيرةالغَرّا يُجازى
عليها الأجرَ من راقي البُراق
دعاه بحافظ العصر الإمام الـ
ـكبير «الإسنويّ» لدى الطِّباق
وعلّى قدره «السُّبكيُّ» وابن الـ
ـعلائيْ والأئمّة باتفاق

ومن ستين عامًا لا يُجارى
ولا طمع المُجاري في اللحاق
ويقضي اليومَ في تصنيف علمٍ
وطول تهجُّدٍ في الليل راق
فأصبح بالكرامة في اصطباحٍ
وبالتحف الكريمة في اغتباق
فما شغلته كأسٌ بالتثامٍ
ولا ألهاه ظبيٌ باعتناق
فتى كَرَمٍ يزيدُ وشيخُ علمٍ
يرى الطلاب معْ حمل المشاق
فيُقرئ طالبي علمٍ ووفرٍ
قِرًى فقراه في ذات اتساق
فيا أسفًا ويا حزنًا عليه
أرقّ من النّسيمات الرقاق
ويا أسفًا لتقييدات علمٍ
تولّت بعده ذات انطلاق
عليه سلامُ ربي كلَّ حينٍ
يلاقيه الرضا فيما يلاقي
وأسْقت لحده سُحبُ الغوادي
إذا انهملت همت ذات انطباق
وزانت رِئْيَه في كل يوم
تحيّاتٌ إلى يوم التلاقي

****

بكى ناظري بالدمع

يتشوق إلى مصر

متى تنجلي آفاق مصرَ بأقماري
وأروي عن اللقيا أحاديث بشّارِ
وأقرأ آي الوصل من صُحْف أوجهٍ
مواضعُ ختم اللثم فيها كأعشار

وأهتزّ كالنشوان من فرح اللقا
بلا منّةٍ عندي لكاسات خَمّار
إلى مصرَ وا شوقًا لمصرَ وأهلها
تَشوُّقَ صبٍّ للهوى غير مختار
ويا وحشتي يا مصرُ منك لبلدةٍ
لداخلها بالأَمْق بشرى من الباري
تهبّ نُسيمات الشمال بأرضها
فينشقُ منها الأنف جَونة عطّار
محسّدةٌ لا قرحَ فيها لعائبٍ
على أن زند الفضل من أهلها واري
إذا فاخروها قام صارمُ نيلها
بمقياس صدقٍ كاسرًا كلَّ فَخّار
مراتعُ لذاتي وملهى شبيبتي
ومبدأ أوطاني وغاية أوطاري
ومنزلُ أحبابي ومنزه مقلتي
ومطلع أقماري ومَغرب أفكاري
لبست ثياب اللهو فيها خلاعةً
وقامت على خُلْعي عذارى بأعذاري
فكم من غزالٍ لي بها كغزالةٍ
تَملَّك روحي بالنقاب وإسفار
ومن قمرٍ للبدر من نور وجهه
سِرارٌ ومَحقٌ بعد تمٍّ وإبدار
ينمّ علينا عَرْفه حين ينثني
فيهزو بأغصانٍ ويُزري بأزهار
أأحبابنا أُصليتُ في البحر بعدكم
بناري وأنتم في رياضٍ وأنهار
رمتني النوى حتى ركبت مطيّتي
أحادثها فيها غرائب أسماري
إذا السهلُ أوفى أبطأت في مسيرها
وتُسرع في الأمواج سيرًا بأوعار
وجاريةٍ لكنها تسترقّ مَن
تبطَّنَ فيها من عبيدٍ وأحرار

وإن رملتْ في البطن تمشي سريعةً
على ظهرها فاسمعْ عجائب أخباري
ولا خيرَ فيها غيرَ أن نزيلها
نديمٌ لقرآنٍ مُديمٌ لأذكار
وأعجبُ ما أحكيه أني مسافرٌ
مقيمٌ ولكنْ منزلي أبدًا ساري
وفي سفري لم ألقَ لي من مؤانسٍ
سوى الكُتْبِ أجلو الهمَّ منها بأسفاري
أبيت سميرَ الأفق أحسب أنكم
كواكبه حتى تعشّقتُ سُمّاري
وفارقت أنفاس الحبيب وثغره
فطال الدجى من فقد صبحي وأسحاري
بكى ناظري بالدمع والدم والكرى
فمذ نفدت طُرًا بكاكم بأنوار
فما أظلمَ الدنيا بعيني وقد نأت
ولاةُ غرامي العازلون وأقماري
لبستُ ثياب الليل حزنًا على اللقا
وصرت لليل الدمع آيةَ جرّار
وما في ضميري غيركم مذ فقدتكم
فحذفكمُ عن مقلتي حذفُ إضمار
وأنتم مُنى روحي وهدي بصيرتي
وتنوير أبصاري وتيسير إعساري
نزلتم بقلبي وهو عمّار حبكم
فأضرمتمُ دارَ الضيافة بالنار
أظنّ النوى ليست بعارٍ لأنني
عهدتكمُ لا تُغمضون على عار
فيا نسماتِ الريح بالله بلِّغي
سلامي إلى روحي المقيمة في داري
سليها تسامحْ مقلتي بمنامها
لتحظى بطيب الوصل من طيفها الساري
ولا تُخبريها عن سقامي يسوءها
ولا سَهَدي الباقي ولا دمعيَ الجاري
وقُولي لها إني على عهد حبها
مقيمٌ وإن لم تُطْوَ شُقّة أسفاري
رحلتُ بلا قلبٍ ولا أَنَسٍ ولا
لذيذ منام وهْي أُنسي وتذكاري
وأذكر دارًا قد حوت طيب عَرْفها
فأرتاح في الأشعار للرَّنْد والغار

ومن رضيَ الآثار من بعد عينه
فمن ليَ من معشوق قلبي بآثار
فإن أصبحت مَن هام قلبي بحبّها
مهاجرةً أمست دموعيَ أنصاري
كفى حَزَنًا أنْ لا نصيرَ سوى الكرى
لتخفيف أحزاني وإخفاء أسراري
وما استعبرَ العشاق إلا ليدفعوا
يدَ الحزن جهلاً عن قلوبٍ بأبصار
أُسرّ غرامي عن عذولٍ وحاسدٍ
فإعلان صبري لا يشابه إسراري
بُليت بمن لم يدرِ مقدار صبوتي
فيا لَهَفي بعد الرحيل على الدار
وأبسم لكن لو بدا لك باطني
ظهرتَ على نارٍ به ذات إعصار
وربَّ صديقٍ ضاق بالبين صدره
وما كلُّ من لاقى الفراق بصبّار
يقول: أُواري لوعتي أو أبثّها
وما حالُ زند الصبر؟ قلتُ له: واري
لقد غرَّني داعي الفراق فها أنا
وردت ولم أعلم عواقب إصداري
حليفٌ لأشجانٍ، طليق مدامع
صديقٌ لأحزانٍ، أسيرٌ لأفكاري
وأنفقت عمري للوصول إلى اللقا
فما نلت مما أرتجي عِشْرَ مِعشار
سوى أن همّي في فؤادي مُقرّرٌ
وراتب دمعي بعدهم مطلقٌ جاري

□□□

ابن خلدون

٧٣٢ - ٨٠٨هـ / ١٣٣١ - ١٤٠٥م

- عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن خلدون.
- ولد في تونس وتوفي في القاهرة.
- ينحدر ابن خلدون من أسرة عربية حضرمية هاجر أسلافه إلى الأندلس واستقروا في أشبيلية في القرن الثالث الهجري، وفي القرن السابع انتقل جده إلى تونس حيث ولد ابن خلدون.
- نشأ في كنف والده العالم وقرأ القرآن الكريم على محمد بن سعد بن براك إمام القراءات، وقرأ العربية على والده وعلى أبي عبدالله بن العربي الحصيري، وعلى أبي عبدالله محمد بن بحر، وأخذ الفقه عن أبي القاسم محمد القصير، ومحمد بن عبدالله الجياني، وأخذ العلوم العقلية عن أبي عبدالله محمد بن إبراهيم الآبلي.
- دخل ابن خلدون العمل الديواني عام ٧٥١هـ، لدى السلطان أبي إسحاق في تونس ثم التحق بالعمل لدى سلطان فاس أبي عنان عام ٧٥٤هـ، وعاش مختلف التقلبات السياسية وانغمس في الصراعات التي عصفت ببلدان المغرب، مما زج به في السجن مرتين.
- في عام ٧٧٦هـ، أقام أربع سنوات معتزلاً في قلعة أولاد سلامة وفيها بدأ كتابة تاريخه، ووضع خلالها مقدمته الشهيرة، وبعد هذه الخلوة عاد إلى تونس فتصدّر للتدريس ولكن مكائد الحساد جعلته يغادر إلى القاهرة عام ٧٨٤هـ فولاه السلطان برقوق منصب قاضي قضاة المالكية، وفي أثناء ذلك فقد أسرته وهي قادمة إليه على متن إحدى السفن، ويذكر أنه في عام ٨٠٣هـ قابل تيمورلنك عند غزوه دمشق وقد أعجب بذكائه وحسن ردوده، وأخيرًا وبعد عودته إلى القاهرة تقلب بين القضاء والعزل أربع مرات حتى وفاته.

الإنتاج الشعري:

- وردت له بعض القصائد في «تاريخ ابن خلدون»، وفي «التعريف بابن خلدون ورحلته»، وفي كتاب «نفح الطيب».

الأعمال الأخرى:

- اشتهر ابن خلدون بالمقدمة التي وضعها لتاريخه الكبير والمعنون بـ «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» وتعدّ هذه المقدمة أساسًا لعلم جديد هو علم «العمران البشري» وله بالإضافة إلى ذلك: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، وشفاء السائل لتهذيب المسائل، وشرح لباب المحصّل في أصول الدين، ووصف بلاد المغرب، وشرح البردة للبوصيري، وكتاب في الحساب، ورسالة في المنطق، وشرح قصيدة في أصول الفقه لابن الخطيب، وتلخيص عدد من مصنفات ابن رشد.

مصادر الترجمة:

- أحمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٥.
- أحمد بن علي المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة - تحقيق: محمود الجليلي - دار الغرب الإسلامي - بيروت ٢٠٠٢.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين - دار الجيل - بيروت (ط١) ٢٠٠٥.
- عبدالرحمن ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة (د. ت).
- عبدالقادر علي أبو المكارم: موسوعة المدائح النبوية (جـ ٣) - دار المحجة البيضاء - بيروت ٢٠٠٤.
- لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق: محمد عبدالله الخانجي - مكتبة الخانجي - القاهرة (ط٤) ٢٠٠١.

قصّرت في مدحي

في الشوق إلى زيارة الرسول (ﷺ)

أسرفنَ في هجري وفي تعذيبي
وأطلنَ موقف عَبرتي ونحيبي
وأبـينَ يـومَ البين وقـفـةَ ساعةٍ
لـوداع مشغوف الفؤاد كئيبِ
لله عـهـدُ الظاعنين وغـادروا
قلبي رهـينَ صبابةٍ ووجيب
غربتْ ركائبهم ودمعي سافحٌ
فشرقتُ بعدهمُ بماء غروبي
يا ناقعًا بالعتب غلّةَ شوقه
رحماك في عذلي وفي تأنيبي
يستعذِبُ الصبُّ الملام وإنني
ماء الملام لديَّ غير شريب
ما هاجني طربٌ ولا اعتاد الجوى
لولا تذكّرُ منزلٍ وحبيب
أهفو إلى الأطلال كانت مطلعًا
للبدر منهم أو كِناس ربيب
عبثت بها أيدي البلى وتردَّدت
في عِطفها للدهر أيُّ خطوب
تبلى معاهدها وإن عهودها
ليجدُّها وصفي وحسن نسيبي
وإذا الديارُ تعرَّضت لمتيَّمٍ
هزّته ذكراها إلى التشبيب
إيـهِ على الصبر الجميل فإنه
ألوى بدَيْن فؤاديَ المنهوب
لم أنسَها والدهرُ يثني صَرفه
ويغضّ طرفي حاسدي ورقيبي
والدارُ مونقةٌ محاسنها بما
لبستْ من الأيام كلَّ قشيب
يا سائقَ الأظعان يعتسف الفلا
ويواصل الإسآد بالتأويب
متهافتًا عن رحل كل مذلَّلٍ
نشوانَ من أيْنٍ ومسّ لُغوب
تتجاذب النفحاتُ فضلَ ردائه
في ملتقاها من صَبًا وجنوب
إن هام من ظمإ السحابة صحبُه
نهلوا بمورد دمعه المسكوب
إني دعوتك واثقًا بإجابتي
يا خيرَ مدعوٍّ وخير مُجيب
قصَّرتُ في مدحي فإن يكُ طيّبًا
فبما لذكرك من أريج الطيب
ماذا عسى يبغي المطيل وقد حوى
في مدحك القرآن كلَّ مَطيب
يا هل تبلّغني الليالي زورةً
تُدني عليَّ الفوزَ بالمرغوب
أمحو خطيّاتي بإخلاصي بها
وأحطّ أوزاري وإصْرَ ذنوبي
في فتيةٍ هجروا المنى وتعوَّدوا
إنضاءَ كلّ نجيبةٍ ونجيب
يطوي صحائف ليلهم فوق العلا
ما شئتَ من خَبَبٍ ومن تقريب
إن رنَّم الحادي بذكرك ردَّدوا
أنفاسَ مشتاقٍ إليك طروب
أو غرَّد الركب الخليّ بطيبةٍ
حنّوا لمغناها حنينَ النِّيب
ورثوا اعتسافَ البِيد عن آبائهم
إرثَ الخلافة في بني يعقوب
الطاعنون الخيل وهي عوابسٌ
يغشى مثار النقع كل سَبيب
والواهبون المُقربات هواتنًا
من كل خَوّار العِنان لعوب

والمانعون الجارَ حتى عِرضهم
في منتدى الأعداء غير مَعيب
تُخشى بوادرهم ويُرجى حِلمهم
والعزّ شيمة مرتجًى ومَهيب

☆☆☆☆

سائلْ به طامي العُباب وقد سرى
تُزجى بريح العزم ذات هبوب
تهديه شُهب أسنّةٍ وعزائم
يصدعنَ ليلَ الحادث المرهوب
حتى انجلت ظُلَم الضلال بسعيه
وسطا الهدى بفريقها المغلوب
يا بنَ الألى شادوا الخلافة بالتقى
واستأثروك بتاجها المعصوب
جمعوا بحفظ الدين أيَّ مناقبٍ
كرموا بها في مشهدٍ ومغيب
لله مجدُك طارفًا أو تالدًا
فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبةٍ أو رغبةٍ لك والعلا
تُقتاد بالترغيب والترهيب
لا زلت مسرورًا بأشرف دولةٍ
يبدو الهدى من أفقها المرقوب
تُحيي المعالي غاديًا أو رائحًا
وجديدُ سَعْدك ضامن المطلوب

****

نعم الخليفة

في مدح سلطان المغرب

قدحتْ يدُ الأشواق من زندي
وهفت بقلبي زفرةُ الوجدِ
ونبذتُ سلواني على ثقةٍ
بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولربّ وصلٍ كنتُ آمله
فاعتضت منه مؤلم الصدّ
لا عهدَ عند الصبر أطلبه
إن الغرام أضاع من عهدي
يلحى العذول فما أُعنِّفه
وأقول ضلَّ فأبتغي رُشْدي
وأعارض النفحاتِ أسألها
بَردَ الجوى فتزيد في الوقد
يهدي الغرام إلى مسالكها
لتعلُّلي بضعيف ما تُهدي
يا سائقَ الوجناء معتسفًا
طيَّ الفلاة لطيّة الوجد
أرِحِ الركابَ ففي الصَّبا نبأٌ
يُغني عن المستنَّة الجُرْد
وسلِ الربوعَ برامةٍ خبرًا
عن ساكني نجدٍ وعن نجد
ما لي تُلام على الهوى خُلُقي
وهي التي تأبى سوى الحمد
لأبيتُ إلا الرشدَ مذ وضحتْ
بالمستعين معالمُ الرشد
نعمَ الخليفةُ في هدًى وتقىً
وبناء عزٍّ شامخ الطود
نجلُ السراة الغُرّ شأنهمُ
كسبُ العلا بمواهب الوَجْد

☆☆☆☆

لله منّي إذ تأوَّبني
ذكراه وهو بشاهقٍ فَرْد
شهمٌ يفلّ بواترًا قُضُبًا
وجموعَ أقيالٍ أُولي أيد
أوريتُ زند العزم في طلبي
وقضيت حق المجد من قصدي
ووردتُ عن ظماٍ مناهله
فرُويت من عزٍّ ومن رِفد

هـي جنّـة المـأوى لمـن كلفت
آمـالـه بمـطـالـب المـجـد
لـو لـم أُعَـلَّ بـورد كـوثـرهـا
مـا قـلـت هـذي جـنّـةُ الخـلـد
مَـن مُـبـلـغٌ قـومـي ودونـهـمُ
قـذفُ الـنـوى وتَـنـوفـة البُـعـد
أنـي أَنِـفـتُ عـلـى رجـائـهـمُ
وملكت عـزَّ جميعهم وحدي

☆☆☆☆

ورقـيـمـةِ الأعـطـاف حـالـيـةٍ
مَـوشـيّـةٍ بـوشـائـع الـبُـرْد
وحـشـيّـةِ الأنـسـاب مـا أنـسـت
فـي مُـوحـش الـبـيـداء بـالـقـرد
تـسـمـو بـجِـيـدٍ بـالـغٍ صُـعُـدًا
شَـرفَ الـصُّـروح بغير مـا جُهْد
طالت رؤوسَ الـشـامـخـات بـه
ولـربمـا قـصُـرت عـن الـوهـد
قطعت إلـيـك تـنـائـفًـا وصـلـت
إسـآدهـا بـالـنـصّ والـوَخْـد
تَخدي على استصعابها ذُلُـلاً
وتـبـيـت طـوعَ الـقِـنِّ والـقِـدّ
بـسـعـودك الـلائـي ضـمـنَّ لنا
طـولَ الحـيـاة بـعـيـشـةٍ رغـد
جـاءتـك فـي وفـد الأحـابـش لا
يـرجـون غـيـرك مُـكـرِمَ الـوفـد
وافـوك أنـضـاءً تُـقـلِّـبـهـم
أيـدي الـسُّـرى بـالـغَـوْر والنجد
يُـثـنـون بـالحـسـنـى الـتـي سبقت
مـن غـيـر إنـكـارٍ ولا جـحـد
ويـرون لحظك مـن وِفـادتـهـم
فـخـرًا عـلـى الأتـراك والـهـنـد
يـا «مستعينًا» جـلَّ فـي شـرفٍ
عـن رتـبـة المـنـصـور والمـهـدي
جـازاك ربـك عـن خـلـيـقـتـه
خـيـرَ الجـزاء فنعم مـا تُـسـدي
وبـقـيـتَ لـلـدنـيـا وسـاكـنـهـا
فـي عـزّةٍ أبـدًا وفـي سعد

****

هنيئًا بصوم

في تهنئة بعض الوزراء بشهر الصوم

هنيئًا بصومٍ لا عـداه قبولُ
وبشرى بعيدٍ أنت فيه مُنيلُ
وهُنِّيتها من عـزّةٍ وسعادةٍ
تَتابعُ أعـوامٌ بها وفُصول
سقى الله دهرًا أنت إنسان عينه
ولا مسَّ ربعًا في حماك مُحول
فعصرك ما بين الليالي مواسمٌ
لها غُـررٌ وضّاحةٌ وحُجول
وجانبك المأمول للجود مشرعٌ
يحوم عليه عالـمٌ وجهول
عساك وإن ضنَّ الزمان مُنوّلي
فرسمُ الأماني من سواك مُحيل
أجرْني وليس الدهر لي بمسالمٍ
إذا لم يكن لي في ذراك مَقيل
وأوليتني الحسنى بما أنا آملٌ
فمثلك يولي راجيًا ويُنيل
ووالله ما رمتُ الترحّل عن قِلىً
ولا سَخَطٍ للعيش فهو جزيل
ولا رغبةٍ في هذه الدار إنها
لظلٌّ على هذا الأنام ظليل
ولكن نأى بالشِّعب عني حبائبٌ
دعاهنَّ خطبٌ للفراق طويل
يهيج بهنَّ الوجدُ أنيَ نازحٌ
وأن فؤادي حيث هنَّ حُلول

عـزيـزٌ عـليـهـنَّ الـذي قـد لقيتُه
وأن اغـترابي في الـبـلاد يطول
تـوارت بـأنـبائي الـبقـاع كأنني
تُخطِّفت أو غالت ركابيَ غُول
ذكرتكَ يا مَغنى الأحبة والهوى
فـطـارت بـقـلـبي أنّـــةٌ وعـويـل
وحَيَّيـتُ عـن شـوقٍ ربـاك كأنما
يُمَـثَّـل لـي نُــؤْيٌ بـهـا وطـلـول
أأحبابَنا والعـهـدُ بيني وبينكم
كـريمٌ، ومـا عهدُ الكريم يحول
إذا أنا لم تُرضِ الحمولَ مدامعي
فــلا قــرَّبـتـنـي لــلـقـاء حـمـول
إلامَ مقامي حيث لم تُـردِ العلا
مـرادي ولـم تـعـطِ القـياد ذلـول
أُجـاذب فضلَ العمر يومًا وليلةً
وســاء صـبـاحٌ بـيـنـهـا وأصـيـل
ويذهب فيما بين يـأسٍ ومطمعٍ
زمـــانٌ بـنـيـل المـعـلـوات بخيل
تُـعـلّـلـنـي مـنـه أمـــانٍ خـــوادعٌ
ويُـؤيـسـنـي لـيّـانُ مـنـه مَـطـول
أمــا لـلـيـالٍ لا تُــردّ خُـطـوبـهـا
ففـي كـبـدي مـن وقـعـهـنَّ فُـلـول
يروّعني من صَرفها كلُّ حادثٍ
تـكـاد لـه صُــمُّ الجـبـال تـزول
أداري على رغـم العدا لا لريبةٍ
يـصـانـع واشٍ خـوفـهـا وعـذول
وأغـدو بـأشـجـاني عـلـيـلاً كأنما
تجـود بـنـفـسـي زفـــرةٌ وغـلـيـل
وإني وإن أصبحتُ في دار غربةٍ
تُحيل الـليـالي سلوتي وتُـزيـل
وصدتَّنيَ الأيـام عن خير منزلٍ
عـهـدتُ بـه أن لا يُـضـام نزيل
لأعـلـمُ أن الخيـر والـشـرّ ينتهي
مَـــداه وأن الـلـه سـوف يُـديـل
وأني عزيزٌ «بابن ماسايَ» مُكثرٌ
وإن هــان أنـصــارٌ وبــان خليل

****

حي المعاهد

مخاطبًا السلطان أبا عبدالله ابن أبي الحجاج

حَيِّ المعاهد كانت قبلُ تُحْييني
بواكف الدمع يُرويها ويُظمِيني
إن الأُلى نزحتْ داري ودارهـمُ
تحمَّلوا القلب في آثارهم دوني
وقفتُ أَنشد صبرًا ضاع بعدهمُ
وكيف والفكرُ يُدنيه ويُقصيني
وينهب الـوجدُ مني كـلَّ لؤلؤةٍ
ما زال جفني عليها غيرَ مأمون
سقت جفوني مغاني الربع بعدهمُ
فالدمعُ وقفٌ على أطلاله الجُون
قد كان للقلب عن داعي الهوى شُغُلٌ
لو أن قلبي إلى السلوان يدعوني
أحبابَنا، هل لعهد الوصل مُدّكرٌ
منكم وهـل نسمةٌ منكم تُحيّيني
مـا لـي وللطيف لا يعتاد زائـره
ولـلـنـسـيـم عـلـيـلاً لا يـداويـنـي
يـا أهـلَ نجـدٍ، ومـا نجدٌ وساكنها
حُسنًا سوى جنةِ الفردوس والعِين
أعـنـدكـم أنـنـي مـا مَـرَّ ذكـركـمُ
إلا انثنيت كـأن الـراح تَثنيني
أصبو إلى البرق من أنحاء أرضكمُ
شوقًا، ولولاكمُ ما كان يُصبيني
يا نازحًا والمنى تُدنيه من خَلَدي
حتـى لأحسبه قـربًا يناجيني

أَسْلى هواك فؤادي عن سواك وما
سواك يومًا بحالٍ عنك يُسليني
ترى الليالِيَ أنستك ادّكاريَ يا
من لم يكن ذكرَه الأيامُ تُنسيني

☆☆☆☆

أبعد مرِّ الثلاثين التي ذهبت
أُولي الشباب بإحساني وتحسيني
أضعتُ فيها نفيسًا ما وردت به
إلا سرابَ غرورٍ لا يُروّيني
وا حسرتي من أمانٍ كلها خُدَعٌ
تَريش غَيّي ومُرُّ الدهر يَبريني

☆☆☆☆

يا مصنعًا شَيَّدت منه السعود حمىً
لا يطرق الدهر مَبناه بتوهين
صرحٌ يحار لديه الطَّرف مفتتنًا
فيما يروقك من شكلٍ وتكوين
بعدًا لإيوان كسرى إن مِشْوَرك السْـ
ـسامي لأعظمُ من تلك الأواوين
ودع دمشقَ ومَغناها فقصرك ذا
(أشهى إلى القلب من أبواب جيرون)

☆☆☆☆

من مبلغٌ عنيَ الصحبَ الألى جهلوا
ودّي وضاع حماهم إذ أضاعوني
أني أويت من العليا إلى حرم
كادت مغانيه بالبشرى تُحيّيني
وأنني ظاعنٌ لم ألْقَ بعدهمُ
دهرًا أُشاكي ولا خصمًا يُشاكيني
لا كالتي أخفرتْ عهدي لياليَ إذ
أُقلّب الطرف بين الخوف والهُون
سقيًا ورعيًا لأيامي التي ظفرت
يدايَ منها بحظٍّ غير مغبون
أرتاد منها مليّاً لا يماطلني
وعدًا وأرجو كريمًا لا يُعنّيني

☆☆☆☆

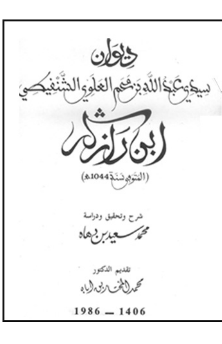
وهاكَ منها القوافي طيّها حِكَمٌ
مثل الأزاهر في طيّ الرياحين
تلوح إن جُلِيت دُرّاً، وإن تُليت
تُثني عليك بأنفاس البساتين
عانيت منها بجهدي كل شاردةٍ
لولا سعودك ما كانت تُواتيني
يُمانع الفكر عنها ما تقسّمه
من كل حُزنٍ بطيّ الصدر مكنون
لكنْ بسعدك ذلَّت لي شواردها
فرُضْت منها بتحبيرٍ وتزيين
بقيتَ دهرك في أمنٍ وفي دعةٍ
ودام ملكك في نصرٍ وتمكين

❑❑❑

ابن رازكة

١٠٦٠ - ١١٤٤هـ / ١٦٥٠ - ١٧٣١م

- عبدالله بن محمد بن عبدالله العلوي الشنقيطي.
- ولد في مدينة شنقيط وتوفي فيها.
- تلقى في محضرة أبيه في شنقيط المعارف الأولية من حفظ القرآن وبعض المتون الصغيرة، كما درس في محضرة الطالب محمد ابن بلعمش الحساب والمنطق ثم انتقل للدراسة في محضرة إدو الحاج في مدينة ودان، ودرس في محضرة جده عبدالله في أرض «الكبلة» الأصول وعلم الفقه، كما درس في المغرب على عدد من المشايخ منهم: أحمد العطار وأحمد بن يعقوب الولالي.



- اتصل بالأعتاب السلطانية، فالتقى السلطان مولاي إسماعيل فحظي برعايته، وكان ذلك وقت نبوغ المولى محمد ابن مولاي إسماعيل المعروف بالعالم الذي اشتهر علمه وفضله فكان من خاصته، وكان يكرمه إكرامًا بالغًا، وله فيه وفي أبيه قصائد مدح كثيرة.

الإنتاج الشعري:

- له ديوان بعنوان «ديوان ابن رازكة».

الأعمال الأخرى:

- له نظم في البيان بعنوان «نزهة المغاني في ظهور البيان والمعاني»، وتأليف في المنطق، ونظم في التصوف، ونوازل في الفقه.

مصادر الترجمة:

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين - دار الجيل - بيروت، (ط ١) ٢٠٠٤.
- عبدالله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي - مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني - بيروت، (ط ٢) ١٩٦١.
- محمد سعيد بن دهاه: تحقيق ديوان ابن رازكة - مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء ١٩٨٦.

في المدح النبوي

غـرامٌ سقى قلبي مُدامته صِرْفا
ولما يُقِمْ للعذل عدلاً ولا صَرْفا
قضى فيه قاضي الحب بالهجر مذ غدا
مريضًا بـداءٍ لا يُطَبُّ ولا يُشفى
نـهـاريَ نهرٌ بين جفنيَ والكرى
وليليَ بحرٌ مرسَلٌ دونـه سِجْفا
جريحُ سهامِ الحب عاث به الهوى
فأبدى الذي أبدَى وأخفَى الذي أخفى
تـوطَّـنـتِ الأشـواق سـوداءَ قلبه
فترفعه ظـرفًـا وتـخفضه ظرفا
يـحـاول سلواني الأحـبَّـة عُذَّلي
وهل يجد السلوان من يفقد الإلفا
سهرنا فناموا ثـم عـابـوا جفوننا
لقد صَدَقونا الـمُرْءُ لا تُشبه الوُطْفا
فحسْبُ المحبِّ الصادق الودِّ قلبُهُ
جـفـاءً بشكواه مـرارةَ ما يُجْفى
ومـا ضـرَّ أوصــالَ المحب مُقَوَّتًا
رجاءَ وصالِ الحب أسْناتها عَجْفا
لـئـن فـاتـنـا عــينُ الحـبـيـب فإنما
بآثاره الحسنى اكتفاءَ من استكفى
فإن لم تَرَ النعلَ الشريفة فانخفضْ
لتمثالها واعكُفْ على لثمها عكفا
وقِـفْ رائـمًـا إشمام رَيّـا عبيرها
حُشاشةَ نفسٍ ودَّعت جسمها وَقْفا
ولا تـرضَ في تقبيل إلـفٍ تُحبّه
إذا أمكنَ التقبيلُ ألفًا ولا ضِعْفا
بدت روضةً مسكيَّةَ النَّشْر أوشكتْ
لطيب شذاها العينُ أن تحسد الأنفا
أيمـكـن رأسٌ ضـمَّـه الـفـمُ دونها
أيملك جفنٌ غضَّه دونها الطَّرْفا
تَـردُّ الـردى المحشيَّ وشـكُ بلائه
ولـولا قضاءٌ سابقٌ رَدَّتِ الحتفا
وتجلب في سوق التكسُّب طُرْفةً
وتجنب في مضمار نَيْل العُلا طِرْفا
ورمـحًـا رُدينـيّـاً وسـهـمًـا مفوَّقاً
وسيفًا سُريجيّاً وسابغةً زَغْفا
فـشـمِّـرْ وأظْـهـر كـلَّ سـرٍّ تضمُّه
وإياك والإضمارَ في الشرح والحَذفا
وحكِّمْ لها من هُنَّ بالفصل حُكَّمٌ
ثلاثتهُنَّ الشرعَ والعقل والعُرفا
مضى سلفٌ في خدمة النعل صالحٌ
فكن خَلَفًا فيما تعاطَوْه لا خَلْفا
رأوا تلك في الدنيا الدنيَّةِ قُربةً
إلى الله في الأخرى مُقرَّبةً زُلفى
أرى الـشـعـراء الهائمين تشبَّبوا
بذكر الـمُحاكي من يحبُّونه وصفا
يذيعون ذكْرَ البان والحِقْف ذي النَّقَا
ويطْرون ذات الخِشْف بالقول والخِشْفا
فها أنـا فـي تمـثـال نعلك سيّدي
مضيتُ على التحقيق في الوصف كالإشفى
وإنـي وتَـوصافي بديعَ حُلاهما
كمن هَمَّ بالبحرين يُفنيهما غَرفا
مُـوازيْ تراب النعل بالتِّبر سائمٌ
جبالَ «شَرَوْرَى» الشُّمَّ أن تَزِن الزِّفا
أيـا مَـنْ سقَـتْ ألـفًـا ظِـمـاءً بنانُه
كما وهبتْ ألفًا كما هزمت ألفا
يدٌ سُمِّيت في فادح الفقر راحةً
كما سُمّيت في كفّها للعدا كفًّا
ومن قام في الإسراء والحشر خلفه
نـبـيـؤو إلــه الحــقّ كـلـهـمُ صَـفّـا
نـبـيٌّ وقـانـا صَـرْفِـيَ الـدهـرِ يُمْنُهُ
فها نحن لا أَزْلاً نخاف ولا عنفا

لـه مِـكْـنـةٌ فـي عـلـم كـل خبيئةٍ
يقينًا ولم يَخْطُط على مُهْرقٍ حرفا
تناهَى إليه علمُ ما كان أودعت
بناتُ «لَبيدٍ» بئرَ «ذروانَ» والجُفَّا
وما في ذراع الشاة ممّا تعمَّدت
يهودُ ولكن ما أعفَّ وما أعفى
وما ملكوتُ العرش عنه مغيَّبًا
يعاينه والعينُ نائمةٌ كَشفا
يجوز عليه النومُ شرعًا وما سها
له قلبُه اليقظان قطُّ وما أغفى
وما أرضةُ البيت الحرام تعقَّبتْ
كتابَ قريشٍ إذ نفت كلَّ ما يُنفى
لمولدك الميمون آيٌ شهيرةٌ
شفَتْ غلَّةَ الرَّاوين من قولها الشَفَّا
وفيما رأت عينا «حليمةَ» مذ رأت
تبنّيك هُوْ الأحظى شفاءَ مَنِ استشفى
ولو لم يُجِبْك البدرُ لما دعوتَه
لما شئتَ لم ينفكَّ نِصفين أو نصفا
ولم تكُ أمُّ المؤمنين وإن سَخَتْ
لتُفنيَ لولا كَيْلُها ما علا الرَّفَّا
إلى معجزاتٍ أنجمُ الجوّ دونها
نموًا وحسنًا وارتفاعًا ومُصطَفّى
فلا الدهرُ يُحصيهنَّ عدّاً ولو غدت
مِدادًا لياليه وأيامُه صُحْفا
بك اللهُ نادى عالم العقل باليًا
فأغواهمُ عدلاً ووفَّقهم لطفا
تأثَّلَ منك النجمُ كيفيّةَ الهدى
وشمسُ الضحى الإشراقَ والعنبر العَرْفا
ورشدُك ما أبداه فانكشف العمى
ووجهُك ما أبهى وقلبك ما أصفى

ونَوَّرتَ أضغانَ العدوّ مواليًا
عليهم هدى الآيات يُشرقْنَ والزحفا
ولي فيك عينٌ ما إنِ العينُ ثَرَّةٌ
حكَتْها ولا هامي الحَيا مثلها وَكْفا
وخَدٌّ كما تحت المحيط من الثرى
فآليتُه لا جفَّ إلا إذا جفَّا
وفكرةُ حيرانِ الحِجا قذفتْ به
نوًى شُطُرٌ من حيث لم يحتسب قذفا
وقلبٌ تولَّى الحبُّ تصويرَ شكله
صنوبرةً ثم استبدَّ به حِلْفا
فكان سواءً عذبُه وعذابه
عليه فما استعفاه قطُّ ولا أعفى
وشِعرٌ بديعٌ لو حوى الفتحَ شِينُهُ
تمنَّت عذارى الحيّ وارده الوَحْفا
فإن لم يكن حقُّ النبيّ فزخرفٌ
إذا زُلزلت للحشر ألفيتَه كهفا
قفوتُ بها الشاميَّ في الفاء مُوقنًا
بأنّيَ وانٍ دون إدراكه ضُعْفا
أنا التابع النعَّات فيك مؤكّدًا
بيانَهمُ أرجو به عندك العطفا
تَخِذْتك كهفًا دون ما أنا خائفٌ
فلم أخشَ في أعقاب حادثةٍ لَهفا
فرِشْني ومن راشت يداك جناحَه
يكن آمنًا ما عاش في دهره النَّتْفا
وأطلِقْ سراحي من ذنوبٍ عظيمةٍ
تَعاظمني إيثاقُها ليتني أُكفَى
عليك صلاةُ الله جمعاءُ كلها
وتسليمُه ما طاش عقلٌ وما ألفى
وآلك والصحب الذين عُلاهمُ
أَقَلَّتْهمُ أرضًا أظلَّتْهمُ سقفا

****

دعِ العيسَ والبيداء

في مدح المولى محمد ابن السلطان إسماعيل

دعِ العيسَ والبيداء تذرعها شَطْحا
وسِمْها بحورَ الآل تسبحها سَبْحا
ولا تَرْعَـهـا، إلا الـذميـل فطالما
رعتْ ناضر القيصوم والشِّيح والطلحا
ولا تُـصـغِ للناهين فيما نويتَه
وخَفْ حيثُ يُخفي الغشَّ من يُظهر النُّصْحا
فكن قمرًا يفْري الدجى كلَّ ليلةٍ
ولا تك كالقُمريِّ يستعذب الصدحا
وقارضْ همومَ النفس بالسير والسُّرَى
على ثقةٍ بالله في نَيْلك الرِّبحا
وأُمَّ بساطَ ابـنِ الشريف محمدٍ
مُبيد العدا ذِكْرًا ومبدي الهدى صبحا
فتًى يسعُ الدنيا كما هي صـدرُه
فأمسى به صـدر الديانة مُندحّا
ومَـن هَـدْيُهُ سـاوى النهارَ وليلَه
فأمسى يُنير الخافقين كما أضحى
ومن هو غيثٌ أخضَلَ الأرضَ روضُهُ
فلا يظمأ الآوي إليه ولا يَضحى
ولـيـثٌ بحق الله لـم يُبْـقِ رُعبُه
عـواءً لكلب الترّهات ولا نبحا
هِزَبرٌ عدا في شِرعة الرمح، والعِدا
غَدَوْا بَقَرًا يستعمل النَّحْر والذبحا
أميرٌ ملوكُ الكفر أضحَوا لسيفه
كما تتبغَّى الذبحَ في عيدها الأضحى
تزيد على الفاقات فَيْضاتُ كفِّه
فيغرق في التيّار من يأمل النَّضحا
فـأيُّ مُنًى لم نَـروَ منها فإن تكن
فمحرومةٌ أن تُبْردَ الظمأ البَرْحا
فلا تَـرُمِ التشبيهَ فيه فقد جرى
مع الظاهر الـمُدْني إلى السُّكَّر المِلْحا
سعى وسعَوا للمكْرمات فأقصروا
ولم يرضَ حتى استكمل الكرمَ القُحَّا
وفَلَّـقَ فيهم بيضةَ المجد قاسمًا
فناولهم قَيْضًا ونـاولـه الـمُحَّا
فتًـى يستقلّ الـبـحـرَ جـودُ بنانه
على حالة استكثار «حاتمٍ» الرَّشْحا
مساعيه في الخطب الجليل يرومه
كآمال من يرجوه تستصحب النُّجْحا
صفاتٌ كدُرِّ البحر صَفْوًا ولُـجِّهِ
حسابًا فمن يأتي على مائه نزحا
وآيـاتُ عِلمٍ أغمدَ الجهلَ نورُها
وغاياتُ جِدٍّ ليس تَطلابُها مزحا
ورأيٌ يُريه اليومَ ما في حَشا غدٍ
ويكشف عنه من دجى ليله جُنْحا
وحــزمٌ يـهـزُّ الـراسـيـاتِ ثباتُـه
وعزمٌ يحاكي الزندَ ماضٍ لهُ قَدْحا
وكفٌّ تُرِي وَكْفَ الحَيا كيف ينهمي
إلى خُلُقٍ يُرِي نسيمَ الصبا النَّفْحا
وبِشْرٌ محيًّا عَلَّمَ الصبحَ ما السنا
وقبضٌ أرى النارَ التأجُّج واللفحا
وتـألـيـفُـه أشـتـاتَ كـل فضيلةٍ
ومكـرمـةٍ غـرَّاءَ تُعْـجِزنـا شرحا
كَفَانا اتخاذَ الفال في القصد يُمْنُه
فلسنا نخطّ الرمل أو نضرب القِدْحا
مَهيبٌ مَخُوفٌ بطشُه تحت حِلمه
عفوٌّ يرى إلا عن الباطل الصفحا
فهل كـان معزُوّاً إلـى الحلم قبله
نعمْ أو كريمٌ يدَّعي غيرَه سمحا
فـأقـدَمَ حتى فـارقَ الجـبنَ صافرٌ
وجادَ إلى أن عاف «مادرٌ» الشُّحَّا
ولم تَذْعَنِ الأعـداءُ محض مودةٍ
إلـيه ولـكـنْ إنما كـرهـوا القَرْحا

رأوا ضيغمًا يعطي الحروب حقوقها
وإن تضع الأوزارَ يُبْرِمْ لها صلحا
ويستغرق الأوقاتَ في الجدِّ كلَّها
ولا يهب التلعابَ ما يسعُ اللَّمْحا
مُـواصـلـةً حبـلَ الجـهـاد جيـادُهُ
ووقفًا على غزو العدا عدوُها ضَبْحا
مُـعـاديـهِ مُـعـطًى بـالحـيـاة منيّةً
وبالجنَّة الأخرى وبالسندس المِسْحا
أيـا بـنَ أمـيـر المؤمـنـين وسيفَه
وصمصامه أن يرفع الضرب والنطحا
تُـشابهـه خَـلـقًـا وخُـلـقًـا فَسامِهِ
إلى الفَلَك الأعلى فإنك لا تُلحى
تَهندستِ العليا فأحرزْتَ جسمها
لإحرازك النُّقطاتِ والخطَّ والسطحا
فكم من حديثٍ كان يُسند للندى
ولـكـنـه لـولا نـوالـك مـا صَـحّـا
فأعطيتَني «الأعيانَ» والعَيْن والكسا
وبيضَ الظُّبا والنُّوق والخيل والطلحا
فلا زلـتَ للإسلام عيدًا مُنغِّصًا
تُنغِّص حُسْناه الشَّعانين والفِصْحا
أبـوك لحكم الشرع ولاّك عهده
فلم تلقَ كدّاً في السؤال ولا كدحا
وأَعـطـاكَـهُ إذ ليس غـيـرُك أهلَه
وللعقل نورٌ ميَّزَ الحُسْن والقبحا
كفَى دُرَّه فخرًا تَحلِّيك سِمْطَه
ومَـنْـعـكَـهُ تلك المـعـرَّة والـقَـدْحـا
فأهدى إليكَ الدهرُ بلقيسَ مُلْكه
وأبدَى لك الكرسيَّ والعرش والصرحا
وولاَّك ربُّ العرش ملْك بقاعها
وأصحبك التمكين والنصر والفتحا
إليـك بها يـا كعبةَ المجد كاعبًا
من الشعر لا تُسطاع أركانُها مَسحا
إذا شهدتْ زكَّى الأعادي حديثَها
وإن أثخنتْ عنا قلوبَهمُ جُرْحا
أكـلِّـفـهـا فـرْضَ المحـال أداءهـا
لشكر نـدًى لا ينتهي مُزنُه سَحّا
فخذها ابنةَ الحاء التي الحمدُ مبتدًى
لها وبها خَلاّقُها كمَّل المدحا

****

في رثاء أعمر أكجيل

هو الموتُ عضبٌ لا تخون مضاربُهْ
وحوضُ زُعاقٍ كلُّ من عاش شاربُهْ
ومـا الـنـاس إلا واردوه فسابقٌ
إلـيـه ومـسـبـوّقٌ تـخـبّ نجائبه
يحبّ الفتى إدراكَ ما هو راغبٌ
ويـدركـه لا بـدَّ مـا هـو راهـبـه
فكم لابـسٍ ثـوبَ الحياة فجاءه
على فجأةٍ عادٍ من الموت سالبه
ولـم يـقِـهِ فـرعـونَ عـونٌ أعـدّه
ولا مُرْدُ «نَمـرودٍ» حمت وأشايبه
وهل كان أبقى «بُختنصَّرَ» بختُه
وأنــصــاره لمــا تحــدّاه واجـبـه
فـمـا صـان حَـبـرًا علـمُـه وكتابه
ولا مَـلِـكًـا أعـلامُـه وكـتـائـبه
ولسنا نسبّ الدهر فيما يصيبنا
فلا الـدهرُ جاليه ولا هو جالبه
مضى مشرقَ الأيام حتى إذا انقضت
ليالي «أبي حفصٍ» تولّت غياهبه
نـقـيـبٌ نسينا كـل شـيءٍ لـرُزئـه
تُــذكِّــرنــاه كــلَّ آنٍ مـنـاقـبـه
أناعِيَه أرسلـتَ عـزلاءَ مهجتي
فها دمُها حملاق جفنيَ ساكبه
طوى نعيُه وعيي فها أنا غائبٌ
عن الحسّ فيه ذاهل العقل ذاهبه

فلاقيتُه لُقيا شجٍ متعلِّلٍ
بصِدق الأماني والأماني كواذبه

عزاءَ حييٍّ عمَّه الشجوُ لا يني
تُساوره حيّاتُه وعقاربه

أعاتبه فيما أقامَ ولم يقم
على حجّة المعذور فيما أعاتبه

أهذي السحابُ الغُرّ وهي مُلثّةٌ
بواكيه أم تلك الرعودُ نوادبه

تضعضعتِ الدنيا فـ«سلمى» رأيتُه
لفقد «ابنِ هَدٍّ» هُدَّ بالهمّ جانبه

فلا حيَّ إلا وَهْو أصبح مأتمًا
تُداوله أشياخُه وكواعبه

فقد صحَّ موتُ المكرمات بموته
وصرَّح ناعيه ولوَّح ناعبه

❑❑❑

ابن سعدي القسنطيني

١٠٣٠ - ١٠٧٩هـ / ١٦٢٠ - ١٦٦٨م

- عبدالله بن سيف الله السيد الشريف.
- ولد في تركيا وتوفي في مكة المكرمة.
- لقي كثيرًا من العلماء وأخذ عنهم ومنهم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا، وقدم دمشق مع أبيه لما صار أبوه قاضيًا بالقدس، ثم عاد إلى تركيا حيث درس بمدارس دار الخلافة إلى أن وصل إلى مدرسة موصلة السليمانية، وجرى بينه وبين عمر بن سعدي القرماني المدرس مناظرة في مجلس المفتي الأعظم وعلى الرغم من أن القرماني قليل البضاعة إلا أنه غلب عبدالله بسبب انفعال الأخير.
- له شعر ونثر في الألسنة الثلاثة: «العربية، التركية، الفارسية».
- ولي قضاء سلانيك عام ١٠٧٢هـ، ثم عزل منها، وبعد تدخل شيخ الإسلام يحيى المنقاري، ولِّي قضاء بروسة، ثم أزمير، فمكة المكرمة.

الإنتاج الشعري:

- وردت له قصيدة في كتاب «خلاصة الأثر».

مصادر الترجمة:

- محمد أمين المحبي: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة - تحقيق أحمد عناية - دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٥.
: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - تحقيق محمد حسن إسماعيل - دار الكتب العلمية - بيروت، (ط ١)، ٢٠٠٦.

خير خلّ

يا خيرَ خِلٍّ مُصافي
لا زال وِرْدك صافي

أين الزمانُ الذي قد
كُنّا به في التصافي

ما بيننا غيرُ ودٍّ
ما بيننا من خِلاف

طورًا نرى من رياض الـ
ـعلومِ في الاقتطاف

وتارةً من بحار الـ
ـقريضِ في الاغتراف

كنا كمِثْل الثريّا
بصحبةٍ وائتلاف

فصيَّرتْنا بناتُ النْـ
ـنعشِ الليالي الجَوافي

بينا نَرُود بروضٍ
يومًا مع الأحلاف

وطيرُه في وفاقٍ
ولحنه في اختلاف

إذ صاح منها غُدافٌ
تعسًا لذاك الغُداف

فبانَ كلٌّ عن الإلـ
ـفِ وهْي ذاتُ إلاف

قدِ انصرفنا بصَرْف الزْ
زَمان أيَّ انصراف

كلُّ امرئٍ صار في جا
نِبٍ من الأكناف

ألقى الزمان المعدّي الـ
ـأحبابَ في الأطراف

أرجو لما فات من ذ
لكَ التلافِ التلافي
عسايَ نحو دمشقٍ
عمّا قليلٍ أُوافي
عسى ليالٍ تقضَّتْ
يَعُدْنَ بالإسعاف
آهٍ عليها فآهٍ
قد أسرعت في التجافي
مضت سريعًا وولَّت
كمثل دُهْمٍ خِفاف
مرَّتْ كخاطف برقٍ
وطِرْن كالخُطّاف
تَبيعُها لو أعانت
قَوادمي والخوافي
قد كُنَّ شامَ زماني
كالشام في الأرياف
دمشقَ أغْني ودامت
مخضرَّةَ الأكناف
قد خصُّها الله بين الـ
ـبلادِ بالألطاف
شوقي لها كلَّ يومٍ
يزداد بالأضعاف
أصبو إلى بَرَداها
بلوعةٍ والتهاف
ولو قَدِرتُ إليها
أسرعتُ رَجلانَ حافي
نسيمُها وهْو ذو عِلْـ
ـلَةٍ لدائيَ شافي
أنهارها لجيوش الـ
ـهمومِ كالأسياف

يزيد دمعي إذا ما
ذكرتُ تلك الصوافي
بها حدائقُ فاقت
في أحسن الأوصاف
تلك الحدائق تحكي
صفاتِ خِلّي المُصافي
أخو وفاءٍ يُراعي
إخوانَه ويُصافي
كلٌّ له مُثْبِتُ الفَضْـ
ـلِ ما له من نافي
مليكُ نظمٍ ونثرٍ
مَلاكُ أمر القوافي
الحلُّ والعَقْد في كَفْـ
ـفِه بغير خِلاف
بجلَّقٍ ذات فضلِ الـ
إلهِ ذي الألطاف
يا مَن له كابنِ بُرْدٍ
بُرْدٌ من الفضل ضافي
يا ظافرًا بقوافٍ
أعيَتْ «عُوَيف» القوافي
أتحَفْتنا بقريضٍ
أحسِنْ بذا الإتحاف
أقرضْتَ قرضًا وأسلَفْـ
ـتَ أحسنَ الإسلاف
فائيّةً ما رأينا
مِثْلاً لها في القوافي
ما من سِنادٍ خليليْ
بها ومِن إصراف
زففْتَ بِكرًا عَروبًا
إليَّ خيرَ زِفاف

بـخَـتْـمـهـا بـلَّـغَـتْـنـي
مَـصـونـةً فـي الـسِّـجـاف
صَـدَاقُـهـا صِـدْقُ ودّي
حـفـظْـتُـه فـي شَـغـافـي
أحـبَـبْـتُـهـا مـنـذ دهـرٍ
وأُولـعـت بـخِـلافـي
عَـلِـقْـتُـهـا ذات ظـلـمٍ
عـديمـةَ الإنـصـاف
عـشـقْـتُـهـا فَـغَـدَتْ في
هـجـري وفـي إحـصـافي
قـد أدنَـفَـتْـنـي زمـانًـا
ومـا لـدائـيَ شـافـي
والآنَ رقَّـتْ فـوافَـتْ
أعـزْ بـطِـبٍّ مُـوافـي
عـادت فـعـادت لـتُـبْـري
مَـريـضَـهـا وتُـعـافـي
قـد عـامـلـتْ بـعـد حَـيْـفٍ
بـالـفـضـل والألـطـاف
زارتْـنـي مـن غـيـر وعـدٍ
بـعـد اجـتـيـاب الـفـيافـي
قـد كـنـتُ أرقُـبُـهـا قـا
ئـلاً عـسـى أن تُـوافـي
يـا صـاحِ يـا مَـنْ حكى طَبْـ
ـعُـه الـزلالَ الـصـافـي
عـتَـبْـتُ ودَّك فـي تَـرْ
كِ الـكُـتْـب والـعـتبُ شـافـي
لا تـعـذلـنِّـي فـهـذا
حُـوْب الـزمـان الـمُـجـافـي
وإن يـكـن ذاك ذنـبـي
فـاصـفَـحْ ومـثـلُـك عـافـي
مـا أجـمـلَ الـصـفْـح عـن ذَنْـ
ـبِ مُـجـرمٍ ذي اعـتـراف
والـلـهِ ربـي الـذي لا
تـخـفَـى عـلـيـه الخـوافـي
حُـبِّـيـكَ فـي كـل حـينٍ
يـكـون فـي اسـتـحـصـاف
رأسٌ كـقـافٍ وإن كـا
نَ بـيـنـنـا بُـعْـد «قـاف»
لا زلـتَ تـرفـل عـزّاً
وثـوبُ قَـدْرك ضـافـي
فـاعـذرْ وثـنِّ بـأخـرى
يـا واحـدَ الآلاف

❑❑❑

أبوالقاسم الرَّحَوي

- أبو القاسم الرحوي التونسي.
- كان حيًا عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م
- ولد بتونس وبها نشأ، وعاش.
- درس العلوم على أيدي علماء تونس، فبرع في علوم العربية وبخاصة الأدب وفنونه.
- ذاع صيته، واعترف الأدباء بفضله.

الإنتاج اشعري:

- له قصائد قليلة وردت في تاريخ ابن خلدون، وفي التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا.

مصادر الترجمة:

- أحمد بن محمد ابن القاضي: درة الحجال في غرة أسماء الرجال - تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) ٢٠٠٢.
- عبدالرحمن ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة (د. ت).
: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - دار ابن حزم - بيروت (ط١) ٢٠٠٣.
- محمد النيفر: عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب - دار الغرب الإسلامي - بيروت (ط ١) ١٩٩٦.

عرفتُ زماني

في مدح العالم ابن رضوان

عرفتُ زماني حين أنكرت عِرفاني
وأيقنت أنْ لا حظَّ في كفّ «كيوانِ»

وأنْ لا اختيارٌ في اختيارٍ مقوَّم
وأن لا قِـراعٌ بـالقِـران لأقرانـي

وأن نظام الشكل أكملَ نظمه
لأضعفُ قاضٍ في الدليل برجحان

وأن افتقار المرء في فقراته
ومن ثِقْله يُعنى اللبيب بأوزان

فمن بعد ما شِمتُ الخِلاب ولم أُرع
لهشّة راضٍ أو لشِرّة غضبان

ولم يُعشني للنار لمعُ شعاعها
فما كل نارٍ نار «موسى بن عمران»

ولم يبقَ لي في الغيب من أملٍ سوى
لقاء «ابن رضوانٍ» وجنة رضوان

هنالك ألفيتُ العلا تنتمي إلى
أناسٍ ضئيلٌ عندهم فخرُ غسّان

وأُرعيت من روض التأدّب يانعًا
وحُيّيت من كنز العلوم بعِقيان

و رُدت فلم تُجدب لديه ريادتي
وصدَّقَ طَرْفي ما تلقَّته آذاني

فحسبُك من آدابه كلُّ زاخرٍ
يحيّيك معسولاً بدرٍّ ومرجان

يحيّيك بالسلك الذي لم تُحط به
طروسُ «ابن سهلٍ» أو سوالف «بوران»

فقل بابليٌّ إن ينافثْك لفظةً
وفي وشيه الأطراسَ، قل هو صنعاني

خلائقُ لم تُخلق سدًى بل تكمَّلت
بإسداء إنعامٍ وإيلاء إحسان

☆☆☆☆

همُ القوم كلُّ القوم أمّا حُلومهم
فأرسخ من طودَي «ثبيرٍ» و«ثهلان»

فلا طيشَ يعروهم وأمّا علومهم
فأعلامها تهديك من غير نيران

بفقهٍ يشيم «الأصبحيُّ» صباحه
و«أشهبُ» منه يستدلّ بشُهبان

وحُسنِ جدالٍ للخصوم ومنطقٍ
يجيئان في الأخفى بأوضح برهان

سقت روضةَ الآداب منهم سحائبٌ
سحبنَ على «سَحبانَ» أذيال نسيان

فلم يُبقِ نأيُ ابن الإمام «شماخةً»
على مدن الدنيا لأنف «تِلِمْسان»

وبعد نوى السِّطّيِّ لم تَسْطُ «فاسُه»
بفخرٍ على بغدانَ في عصر بغدان

وبالآبليِّ استسقتِ الأرض وَبْلها
ومُستوبلٌ ما مال عنه لأظعان

وهامت على «عبد المهيمن» تونسٌ
وقد ظفرت منه بوصلٍ وقُربان

وما علقت مني الضمائر غيرَه
وإن هويتْ كُلاّ بحبّ ابن رضوان

****

لا زلت في علياء

في تهنئة السلطان أبي الحسن المريني

أجابك شرقٌ إذ دعوتَ ومغربُ
فمكةُ هشّت للقاء ويثربُ

ونـاداك مصرٌ والعراق وشامه
بدارًا، فصدعُ الدين عندك يُشعَب

وحيّتك أو كادت تُحيّي منابرٌ
عليها دعاة الحق باسمك تخطب

فسارعَ فيها كلُّ دانٍ وشاسعٍ
إلى طاعةٍ من طاعة الله تُحسب

وتاقت لك الأرواح حبّاً ورغبةً
وأنت على الآمال تنأى وتقرب
فبالبلدة البيضاء لبّاك معشرٌ
وأنت بأفق الناصريّة ترقب
ووافتك من ذات النخيل وفودها
فلاقاهمُ أهلٌ لديك ومَرحب
ولم تتلكّأْ عن إباء «بجايةٍ»
ولكن تُراضي الصعب حينًا وتركب
تأبّت فلما أن أطلّت عساكرٌ
ترى الشهب مما يُستباح ويُنهب
تَبَادرَ منهم مُذعنٌ ومسلِّمٌ
وأذعنَ منهم شاغبٌ ومؤلِّب
وما تونسٌ إلا بمصرٍ مُروَّعٍ
وفي حرمٍ أمست لديك تَسرَّب
وما أهلها إلا بغاثٌ لصائدٍ
وبالعزّ منك استنسروا وتعقّبوا
وقد كنت قبل اليوم كهفَ زعيمهم
فها أنت كهفٌ للجميع ومَهرب
فكلٌّ يرى أن الزمان أداله
بِكُم فأجابَ العيش والعيشُ مخصب
وكدَّ لك ابنٌ طائعٌ وإنِ اعتلت
به السنُّ إجلالاً وأنت له أب
وما ذاك إلا أن عدلك ينتمي
إلى الخلفاء الراشدين ويُنسب
تساميتَ في مُلْكٍ ونُسكٍ بخطّةٍ
حَذِيّاك محرابٌ لديها وموكب
إذا لذَّ للأملاك خمرٌ مُدارةٌ
فلذَّ لك القرآن تتلو وتكتب
وإن أدمنَ القوم الصبوح فإنما
على ركعاتٍ بالضحى أنت تدأب
وإن حمدوا شُرب الغَبوق فإنما
شرابك بالإمساء ذِكرٌ مُرتَّب
وإن خشنت أخلاقهم وتحجَّبوا
فما أنت فظٌّ، لا، ولا مُتحجِّب
لقد كرمت منك السجايا فأصبحت
إذا ما أمدَّ الدهر تحلو وتعذب
كما شُدتَ بيتًا في ذؤابة معشرٍ
يزيد بهم قحطانُ فخرًا ويعرب
همُ التاركو قلبَ القساور خُضَّعًا
وعن شأوهم كُفَّت عبيدٌ وأغلب
همُ الناس والأملاك تحت جوارهم
همُ العظم والأرض العظيمة تَغرب
همُ المالكو الملكِ العظيم ودَستُهم
على كاهل السبع الشداد مُطنَّب
لقد أصبحت بغدادُ تحسد فاسَهم
و«دجلةُ» ودّت أن يكون بها «سِبو»
تجلَّت سماء المجد منهم كواكبًا
لقد حلَّ منها شارقٌ ومغرِّب
فلله منهم ثلّةٌ يعربيّةٌ
يروم ثَباها الأعجميُّ فيُعرب
لقد قام «عبدالحقّ» للحق طالبًا
فما فاته منه الذي قام يطلب
وأعقبَ «يعقوبًا» يؤمّ سبيله
فلم يُخطه وهو السبيل الملحَّب
وخلَّف «عثمانًا» فلله صارمٌ
به بان للإسلام شرعٌ ومذهب
فكم في سبيل الله شنَّ إغارةً
لما شادَ أهلُ الكفر أمست تُخرِّب
ولما أراد الله إتمام مِنّةٍ
تقلَّدها منا مطيعٌ ومُذنِب

أتـى بـك لـلـديـن الحـنـيـفـيّ آيـةً
تعرَّى بها عن لامع الحق غيهب
فجئتَ كما يرضى بك الله سالكًا
سبيلاً إلـى رضـوانـه بـك يذهب
وقـمـتَ بـأمـر الـلـه حـقَّ قيامه
يناضل عنه منك نصلٌ مُـدرَّب
وأصبحَ أهـل الله أهـلاً وشيعةً
لكم ولهم منكم مكانٌ ومنصب
وحلَّ بأهل الفتك ما حلَّ عزمَهم
وقـام لـديـهـم واعــظٌ ومُـثـوِّب
وجاهدت في الرحمن حقَّ جهاده
فراهبُ أهل الكفر بأسَك يرهب
وأنـقـذتَ من أيـدي الإغـارة أمّةً
وأولى جهادٍ كان بل هو أوجب
فأصبحتِ الدنيا عـروسًا يزفّها
لأمرك من جاري التقادير مغرب
فـلا مـصـرَ إلا قـد تمـنّـاك أهـلُـه
ولا أرضَ إلا بـاذّكـارك تُخصب
ومـا الأرضُ إلا منزلٌ أنـتَ ربُّه
ومـا حلَّها إلا الـودود المرجَّب
تملَّكتَ شطر الأرض كسبًا وشطرها
تراثًا فطاب الـمُلْك إرثًا ومكسب
بجيشٍ على الألواح والماء يمتطي
وجيشٍ على الضُّمْر الصوافن يركب
وجيشٍ من الإحسان والعدل والتقى
وذاك لعمرُ الله أغلى وأغلب
فـلا مـركـبٌ إلا يـزيّـن راكـبًـا
ولا راكـبٌ إلا بـه ازدانَ مركب
ولا رمـحَ إلا وهـو أهيفُ خاطرٌ
ولا سيفَ إلا وهو أبيضُ مُقضِب
فـكـم كـاتـبٍ خـطّـيُّـه ودواتــه
ولم يقرَ خطًا لا، ولا هو يكتب
يـمـرّ عـلـى الأبـطـال وهـو كـأنـه
هـزبـرٌ وأبـطـال الـفـوارس ربـرب
وكم كاتبٍ لا ينكر الطعنُ رمحَه
خـبـيـرٌ بـأيـام الأعـاريـب مُعرب
له من عجيب السحر بالقول أضربٌ
وفي هامة القوم المضارب مَضرب
فها هو في الأقـوال واشٍ محبِّرٌ
وها هو في الأمثال ثـاوٍ مُجرَّب
ومن ساحبٍ بُرْدًا من العلم والتقى
عليه ذيـول الـداوديّـة تُسحب
له صبغةٌ في العلم جاءت «بأصبغٍ»
وشهبانُ فهمٍ لم يشِمْهُنَّ «أشهُب»
فيا عسكرًا قد ضـمَّ أعـلام عالمٍ
بـه طـاب فـي الدنيا لنا مُتقلَّب
هـمُ الفئة العلياء والمشعر الذي
إذا حلَّ صعبًا فهو للحق مشعب
لك الفضلُ في الدنيا على كل قاطنٍ
ومُـرتحـلٍ أنّـى يـجـيء ويـذهـب
ويـا ملكًا عَـدْلاً رِضًـا متورِّعًا
مـنـاقـبُـه الـعـلـيـاء تُـعـلـى وتُكتب
شرعتَ من الإحسان فينا شريعةً
تَـسـاوى بـهـا نـاءٍ ومـن يتقرَّب
وأسميتَ أهل النسك إذ كنت منهمُ
فمنك أخو التقوى قريبٌ مقرَّب
وأعليتَ قدر العلم إذ كنت عالمًا
فقيهًا وفـي طـلاّبـه لـك مـأرب

فمدحك محتومٌ على كل قائلٍ
ومن ذا الذي يحصي الرمال ويحسب

فلله كم تُعطي وتُمطي وتحتبي
فللبحر من كفَّيك قد صحَّ منسَب

فلا برحت كفّاك في الأرض مُزنةً
يطيب بها للخلق مرعىً ومشرب

ولا زلتَ في علياء مجدك راقيًا
وشانئك المدحوض يُنكا ويُنكب

وتُوفي على أقصى أمانيك آمنًا
فلا بَرَّ يستعصي ولا يتصعَّب

****

يا أخا الحكم

في مدح عبدالمهيمن الحضرمي

لَهِيَ النفسُ في اكتسابٍ وسعيٍ
وهو العمر في انتهابٍ وفَيِّ

وأرى الناس بين ساعٍ لرشدٍ
يتوخّى الهدى وساعٍ لغيّ

وأرى العلم للبريّة زينًا
تتزيّا منه بأحسن زِيّ

وأرى الفضلَ قد تجمّع كُلاًّ
في ابن عبدالمهيمن الحضرميّ

حلَّ بالرتبة العليّة في حضـ
ـرةَ مَلْكٍ سامي العِماد عليّ

قلمٌ أوسعَ الأقاليم أمرًا
فله قد أطاع كلُّ عصيّ

قدرٌ ما يفيد منه احتذارٌ
فبأيٍّ تراه يقضي بأيّ

يمنح العزَّ والعلا ويوالي
بالعطايا الجِسام كلَّ وليّ

يلجأ الدارعون خوفًا إليه
فهو يُزري بالصارم المشرفيّ

هو أعلى الأقلام في كل عصرٍ
حيث يُنمى إلى الإمام عليّ

حليتْ تلكمُ الرياسة منه
بفريدٍ في كل معنًى سنيّ

سالكٌ في النظام دررًا وطورًا
ناثرٌ دُرَّه بنَشْرٍ وطيّ

بِدَعٌ «للبديع» ترمي بحَصرٍ
و«لصابي» بني بُويهٍ بعيّ

ويرى «أخرسُ» العراق لديه
أنه بالشآم كالأعجميّ

وعلومٌ هي البحور ولكن
ينثني الواردون منها بريّ

تصدر الأمّةُ العظيمة عنه
بحديثٍ مُجوَّدٍ مَرويّ

وبفقهٍ فيه وحسن مقالٍ
يضع النور في لحاظ العميّ

وبنحوٍ يُنحي على سيبويهٍ
ببيانٍ في المبهمات جليّ

عمي «الأخفشان» عنه وسُدَّت
عن خفاياه فطنةُ «الفارسيّ»

يا أخا الحُكم في الأنام وإني
لأنادي ربَّ الندى والنديّ

بنتُ فكري تعرَّضت لحماكم
فالقَها راضيًا بوجهٍ رضيّ

تبتغي القرب من مَراقي الأماني
والترقّي للجانب العَلَويّ

فأنلْها مَرامها نلتَ سهلاً
كلَّ دانٍ تبغي وكلَّ قصيّ

□□□

أبوبكر الأحسائي

١٠٠٠-١٠٧٦هـ / ١٥٩١-١٦٦٥م

- أبوبكر بن علي الأحسائي ثم المدني.
- ولد بمدينة الأحساء، وتوفي يوم عرفة في عرفة وهو محرم، ودفن في المعلاة في مكة المكرمة.
- نشأ على الاشتغال بالعلم في الأحساء، ثم رحل بصحبة والده إلى المدينة المنورة وسكنها، وكان بها ملازمًا للعبادة مواظبًا على قيام الليل.

الإنتاج الشعري:

- له ديوان شعر في مجلدين.

مصادر الترجمة:

- عبدالملك العاصمي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٨.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (جـ١) - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣.
- محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - تحقيق: محمد حسن إسماعيل - دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٦.
: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة - تحقيق: أحمد عناية - دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٥.

ذو البأس

في مدح الشريف زيد بن محسن

عَــزَّتْ بِـعِـزِّ مَـقـامِـك الـعَـلْـيَـاءُ
وعليك فَضَّتْ عِقْدَها الجَـوزاءُ
فالبدرُ كأسٌ والشموسُ عُقارُها
فاشْرَبْ بكأسٍ شمسُه الصَّهْباء
وحَـبابُـهـا نُجُــمُ الـسَّـمـا فكأنَّها
ذاتٌ وذاك بـشـكـلـهِ الأسـمـاء
واتـتْك بِـكـرًا قبل فَـضِّ خِتامِها
يـقْـتـادُهـا رَاووقُـهـا وذُكـاء
خضعْت لعِزِّك فاسْتقِمْ في عَرْشِها
يـا ظـاهـرًا لا يـعْـتـريـه خَـفـاء
وانْصُبْ لِـوَاءَ الحمد مُنْتَشِرَ الثَّنا
قـد ضُـوِّعـتْ بعبيرهِ الأرجـاء
يسعى بظلِّ أَمَـانِـهِ بين الـورَى
ذو البَأْسِ والأمـجاد والضُّعفاء
فالدهرُ سيفك فاتّخذه مجرّدًا
مـتـوشّـحًـا بـالـنـصـر وهـو رداء
وعُـلاك قـد شهد العدو بفضله
(والفضل ما شهدت به الأعداء)
وحـمـاك أمــنُ الخـائـفـين تـؤمُّـه
شـمُّ الأنــوف الـقـادة الأَكْـفـاء
ولـقـد حظيتَ مـن الإلـه بنظرةٍ
أَرْدَتْ مُـريـدَ الكيد وهـو هَباء
وحُـبِـيـتَ منه بما تـقـاعَـسُ دونـه
هِـممُ الملوك الصِّيدِ والعظماء
فـالـلـهُ أظـهـرَ ذا الجـنـاب بنصِّه
فالخَلْقُ أرضٌ والشريف سماء
لو قيل لي من ذا أردتَ أجبتهم
أوَ غـيـرَ «زيــدٍ» تَمـدحُ الشعراء
وإذا أُديـــر حـديـثـه فـي محفلٍ
فلمسمعي من طِيب ذاك غذاء
مَـلِـكٌ إذا وعـد الجميل وفـى به
وإذا تـوعَّـدَ شـأنُـه الإغـضـاء
فبسعدِه أهدى الزمانُ إلى الورى
كـأسًـا هـنـيّـاً لـيـس فـيـه عـنـاء
فاللهُ يبقي مُلكه السَّامي الذي
قـد كـلَّـلَـتـه بـنـورِهـا الـزَّهـراء

****

علوت قدرًا

في مدح عيسى الجعفري

يا من سما فوق السِّمَاكِ مقامُهُ
ولـقـد يـراك الـكـلُّ أنـتَ إمـامُـهُ
حُزْتَ الفضائل والكمال بأسره
وعـلـوت قـدرًا فيك تمَّ نِظامه
لو قيل من حاز العلوم جميعها
لأقـول أنـت المسك فيه ختامه
كم صُنْتَ من بِكْر العلوم خَرائدًا
عن غير كُـفءٍ لم يجب إكرامه
فـاعـلـمْ بـأني غير كُـفءٍ لائـقٍ
إن لم يكنْ ذا الفضل منك تمامُه

□□□

أحمد البهلول

- ١١١٣هـ / - ١٧٠١م

- أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد.
- ولد بمدينة طرابلس الغرب/ليبيا، وتوفي فيها.
- رحل إلى مصر، حيث درس على علمائها وعاد بعدها إلى موطنه..

الإنتاج الشعري:

- له ديوان شعر مطبوع.

الأعمال الأخرى:

- له: منظومة «درة العقائد»، ومنظومة «المعينة» في فقه الحنفية، و«المقامة الوترية»، ومنظومة «متن العزية» في فقه الإمام مالك، و«المقامة النورية»، ونظم «قصة يوسف».

مصادر الترجمة:

- خير الدين الزركلي: الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت (ط ٩) ١٩٩٠.
- علي المصراتي: تحقيق ديوان أحمد البهلول - الدار الجماهيرية - مصراته (ط ٢) ١٩٩٩.

نبيّ كريم

أذوبُ اشتياقًا والفؤادُ بحسرةٍ
وفي طيِّ أحشائي تَوَقُّدُ جَمرةٍ
متى ترجعُ الأحباب من طول سفرةٍ
أحبَّةَ قلبي عَلِّلوني بنظرةٍ
فَدَائي جَفاكم والوصال دوائي

رحلتم وخلَّفتم فؤادي معذَّبا
يهيم بكم بين المرابع والرُّبا
وفي كَبِدِي نارٌ تزيد تلهُّبا
أحنّ إليكم كلّما هبَّتِ الصَّبا
فيزداد شوقي نحوكم وعنائي

عدمتُ نعيمي في هواكم وراحتي
عساكم تجودوا أو ترقُّوا لحالتي
وما كان بُعدِي عنكمُ من إرادتي
أكابدُ أحزاني وفرطَ صبابتي
ولم ترحموا ذُلِّي وطول بُكائي

نزحتُ دموعي من بكائي عليكمُ
ولم تنظروا حالي وذُلِّي لديكمُ
وأَسْرَ فؤادي بالهوى في يديكمُ
أراعي نجوم الليل شوقًا إليكم
وذاك لرغبي في الهوى وشقائي

إذا ما ذكرتُ الجِذْعَ والبانَ واللِّوى
يهيمُ غرامي بالصَّبابة والجوى
إلى الله أشكو ما ألاقي من النَّوى
أيا صاحبي كن لي معينًا على الهوى
فعُمري به ولَّى وعَزَّ عزائي

تكدَّرَ عيشي بَعْدَ بُعْدِ أحبَّتي
وفارقني من كان سُؤلي ومُنيتي
أيا عاذلَ المشتاق دعني بحيرتي
أعِرْني جُفُونًا لا تجفُّ فمقلتي
رَقَا دمعُها فاستُبدلت بدماء

علقت بأَحْوى مَا لَهُ من مُماثلِ
حكى غُصنَ بانٍ مائسٍ في غلائلِ
إذا رُمْتُ أسلو عن حبيبٍ مُماطل
أبى القلب أن يُصغي إلى قول عاذل
ولو لَحَّ بي في غدوتي ومسائي

ترى العيش يصفو بين تلك المرابع
ويُطفا لهيبٌ قد ثوى في الأضالعِ
وقد مَرَّ عُمري ضالعًا في المطامع
أُرَجِّي وِصالاً من حبيبٍ ممانع
يُخيِّبُ عمدًا بالبعاد رجائي

حبيبٌ مقيمٌ في فؤاد مشرّدِ
وشوقي إلى خير الأنام محمّدِ

أنادي ودمعُ العين في الخدّ مُسْعِدي
أما آنَ غيِّي أن يزول فأهتدي
إلى خيرِ دانٍ في الأنام وناءِ

نبيٌّ شفيعٌ حاز كلَّ الفضائل
به افتخرتْ أصحابه في القبائلِ
وقد ظهرت راياته بدلائل
أجلُّ الورى قدرًا وأصدقُ قائل
غدا عُدَّتي في شدَّتي ورخائي

فؤادي المعنَّى يشتكي فرط صبرهِ
وجَفني يُراعي مَطلعًا في سُحيرهِ
مَشُوقًا لمختارٍ يسير لسيره
إمامٌ إذا ضاقت شفاعة غيره
لدى الحشر ألفيناه رحبَ فِنَاء

أمِيل إلى ذاك الحمى وطريقهِ
وأهفو لحيِّ المنحنى وفريقِهِ
منازلِ بدرٍ قد هدى بشروقه
أشار إلى الماء الأُجاجِ بريقه
فعاد فُراتًا فيه كلُّ شفاءِ

لبُعد المدى قد أوقدَ البينُ جمرةً
يجدِّدُ وجدًا كل يومٍ وحسرةً
وطولَ اشتياقي للذي حلّ حُجرةً
أما كلَّمَتْهُ ظبيةُ الوحش جهرةً
أما أتحفَ الأعمى بمقلة راءِ

سألتك عُجْ نحو العقيق مع الحِمى
وسلِّمْ على المبعوث إن كنت مُغرَما
نبيٌّ كريمٌ لا يزال مُعظَّمَا
أما نحوه جاء البعير مُسلِّما
وشاهدَ نورًا مشرقًا بضياء

مُنَائي من الدّنيا أفوزُ بقربهِ
عسى القلبُ يبرا من حرارة كربهِ
سلامٌ على آل النبيّ وصحبه
أطاعَتْهُ أهل الأرض واستبشرت به
ملائكةٌ حين ارتقى لسماء

مكارمُه تُنبيكَ عن طيب أصلِهِ
وراحتُه تُغنيك عن سَحِّ وبْلِهِ
وظُلمةُ أهل الشرك زالت بعدله
أقرَّت جميع المرسلين بفضله
وناهيك عن فخرٍ وحُسن سناء

هدمنا به سورَ الضلال ورُكنَهُ
وقد فاز عبدٌ فيه حقَّق ظَنَّهُ
مُحيَّاه مثل البدر تَنظرُ حُسنه
أتيهُ به عُجْبًا وأسمو لأنَّهُ
به شاعَ شعري في الورى وثنائي

يبيتُ فؤادي المستهام بهمِّهِ
ولا راحمٌ يُبريه من داء سُقمِهِ
وكلُّ شفائي أن أناديَ باسمه
أتيت له مُستشفعًا بابن عمّه
وبضعَتِهِ والفتية النُّجباء

إلهي يدُ العاصي لنحوك مدَّها
وكم خَلَّةٍ مقصودةٍ لم تردَّها
وتُبدي له نعماءَ لا يُحصي عدَّها
إليك يدي مبسوطةٌ لا تردَّها
من العفو هب لي يا سميعُ دعائي

دعوناك بالهادي الشَّفيع محمّدِ
نبيِّ الهدى ينجو به كلُّ مُهتَدِ
محبَّتُه ذخري وسُؤلي ومقصدي
أَجِرْنا جميعًا من عذابك سيِّدي
وكن مستجيبًا سامعًا لدعائي

****

مقطعات غزلية

تُكلّفني الشرابَ وأنتِ سكرى
أما هذا من العجب العُجابِ
وتدعوني إلى شُرب الحميّا
فلم أُطقِ الشرابَ على الشراب

☆☆☆☆

قالوا حبيبك محمومٌ فقلتُ لهم
أنا الذي كنت في حمّائه سببا
قبّلتُه ولهيبُ النار في كبدي
فأثّرتْ فيه تلك النار فالتهبا

☆☆☆☆

نظرتُ إليها نظرةً فتحيّرتْ
دقائقُ فكري في بديع صفاتها
وأوحى إليها الوهم أني أحبّها
فأثّر ذاك الوهم في وَجَناتها

☆☆☆☆

صبّحتُه عند المساء فقال لي
تَهزا بقَدْري أم تريد مِزاحا!؟
فأجبته: إشراقُ وجهكَ غرّني
حتى توهّمتُ المساء صباحا

☆☆☆☆

وقد كان لي فيمن أحبُّ مشاركٌ
منعتُ الهوى روحي ليلتقي وجدي
وقلتُ لها يا نفسُ مُوتي كريمةً
فلا خيرَ في خِلٍّ يكون مع الضدّ

☆☆☆☆

ولما اجتمعنا للوداع ودمعُها
ودمعي يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤًا رطبًا ففاضت مدامعي
عقيقًا فصار الكلُّ في جِيدها عِقْدا

☆☆☆☆

ولي حبيبٌ كأن الله صوَّره
من يانعِ الزهر أو من ذائب البَرَدِ
كأنه ذائب البلّور أُفرِغَ في
أحشائه الوردُ محمرَّ النطاق نَدي

☆☆☆☆

حجبوك عن مُقَل الأنام مخافةً
من أن تُخدِّش خدَّك الأبصارُ
فتوهَّموكَ ولم يروك فأصبحتْ
من وهمهم في خَدّك الآثار

☆☆☆☆

مرّت بحارس بستانٍ فقيل لها
سرقتِ رُمّانَتي نهديك من شَجَري
فصاح من وجنتيها الجلّنارُ على
قضيب قامتها لا.. بل هما ثمري

☆☆☆☆

مرضتُ فأمسكتُ الزيارة عامدًا
وما عن قِليً أمسكتها.. لا.. ولا الهجرِ
ولكنني أشفقت من أن أزوركم
فأُبصر آثار الكسوف على البدر

☆☆☆☆

قالوا أترقد إذ غبنا.. فقلت لهم
نعم وأُشفق من دمعي على بصري
ما حقُّ طَرْفٍ هداني نحو حسنكمُ
أني أعذّبه بالدمع والسهرِ

☆☆☆☆

سألتُه الوصلَ يومًا قال منعطفًا
راجعْ سؤالك واحذرْ آية الخطرِ
إن المحبة طبعُ الوصل يُفسدها
وإنما لذة المحبوب بالنظر

☆☆☆☆

تَوهَّمه قلبي فأصبح خَدُّه
وفيه مكانَ الوهم من نظري أثَرْ
ومرَّ بفكري جسمُه فجرحته
ولم أرَ جسمًا قطُّ تجرحه الفِكَر

☆☆☆☆

أقيمي مكان البدر إن أفل البدرُ
وقُومي مقامَ الشمس إن بعد الفجرُ

ففيك من الشمس المضيئة نورها
وليس لها منك التبسُّمُ والثغر
☆☆☆☆
لا غروَ إن صار الغزال بطَرْفه
ريمَ المها فله بذاك أشائرُ
في خَدّه فخٌّ لعطفةِ صُدْغه
الخالُ حبَّتُهُ، وقلبي طائر
☆☆☆☆
إن تَرُمْ تدري بأنّي هالكٌ
ليس لي تحريكُ نبضٍ بالمِجَسْ
قم وضعْ مرآة خدّيك على
فِيَّ وانظرْ هل ترى فيَّ نَفَسْ
☆☆☆☆
ألقى يديه على صدري فقلتُ له
أبرأتَ مني فؤادًا أنت مُوجعهُ
فقال لا تطمعنْ، عينايَ قد رمتا
سهمًا، أجبتُ: وأدري أين موضعه
☆☆☆☆
لاموا على صبّ الدموع كأنهم
لا يعرفون صبابتي وولوعي
فأجبتهم وَعَدَ الخيال بزورةٍ
أفلا أرشّ طريقه بدموعي!
☆☆☆☆
أحبُّ العذول لتكراره
حديثَ الأحبّة في مسمعي
وأهوى الرقيب لأن الرقيبَ
يكونُ يكون الحبيبُ معي
☆☆☆☆
جسرتُ على تقبيل وردة خدّه
ولم أكُ بالباغي سواها ولا أبغي
فأرسلَ لي من أسود الشعر أرقمًا
وأطلعَ لي في خَدّه عقربَ الصُّدْغ
☆☆☆☆
جاذبته لعناقي فانثنى خجلاً
وكُلِّلتْ وجنتاه الحمرُ بالعرقِ
وقال لي.. بفتورٍ من لواحظه
إن العناق حرامٌ، قلت في عُنقي
☆☆☆☆

حدِّثاني عن قامةٍ ورُضابِ
شغلاني عن كلّ غصنٍ وَريقِ
وصِفا لي ثغر الحبيب فإني
ذو اشتياقٍ إلى النَّقا والعقيق
****

الشوق إلى ديار النبوة

نأيتم عن المضنى ولم تتعطَّفوا
على هائم أضحى بكم وهو مُدنفُ
مَشوقٌ ينادي والمدامع تذرفُ
نهاري وليلي ساهرٌ متأسّف
ومن هجركم قد زدت حزنًا على حزني

تجافت جفوني نومُها مذ هجرتمُ
وعذَّبتموني بالصدود وجُرتمُ
ولو ذقتمُ ما ذقته لعذرتم
نقضتم عهودًا في الهوى وغدرتم
ودمتم على هجري وخيَّبتمُ ظنّي

حدا بهمُ الحادي سُحَيْرًا وحمَّلوا
مطاياهمُ والركبُ لم يتمهَّلوا
وقد حلَّفوني والفؤاد مُعلَّلُ
نعمتُ بهم دهرًا فلما ترحَّلوا
شقيتُ وعوَّضت المسرَّة بالحزنِ

محبٌّ له دمعٌ حكى فيضُ جودِهِ
سحابًا ونارًا أظهرت شيبَ فَوْدِهِ
مشوقٌ إلى ذاك الحمى وورودِه
نعيمٌ فلو جاد الزمان بعَوْده
لما كان دمعُ العين ينهلُّ كالمزنِ

لبست بهم ثوبًا من السقم مُعْلَما
وحبُّهمُ ما زال عندي مُخيِّما
أنادي ودمع العين في الخدّ قد همى
نسيمَ الصبا بالله إن جُزت بالحمى
فبلِّغْ سلامَ النازلين به عنّي
❑❑❑

أحمد المنصور الذهبي

٩٥٦ - ١٠١٢هـ / ١٥٤٩ - ١٦٠٣م

- أبوالعباس، أحمد بن محمد بن محمد القائم بأمر الله السعدي.
- ولد وتوفي في مدينة فاس.
- هو أحد سلاطين الدولة السعدية.
- درس النحو على يد أحمد بن قاسم القدومي الأندلسي، وعلى عبدالواحد بن أحمد الحميدي، والحديث على رضوان بن عبدالله الجنوبي، وأجاز له عن سفيان، عن زكريا، والقلقشندي عن ابن حجر، وقرأ القرآن الكريم على محمد الدرعي، وعلى الفقيه القاضي سليمان بن إبراهيم، وأخذ الرسالة عن الفقيه أبي عمران موسى السوسي، وعن عبدالعزيز بن إبراهيم الدمناتي، وأخذ المعاني والبيان والمنطق والتفسير عن أحمد بن علي بن عبدالرحمن المنجور، والحساب من خلال اطلاعه على ما كتبه إقليدس.
- اشتهر بحسن سيرته، وبعد همته، ورجاحة عقله، وحكمته.
- أحيا خلال فترة حكمه ما اندرس من الفنون المهمة كالمنطق والنحو والفقه والحساب والهندسة والطب والموسيقا، وتعاطى الناس الآداب وتنافسوا في تأليف الكتب واقتنائها وكان هو قدوتهم في ذلك، كما عُرّبت في أيامه بعض مؤلفات الأوربيين، وكان بلاطه غاصًا بفحول الشعراء وبلغاء الكتاب ونبغاء الفقهاء والعلماء، وله ألف أبوالعباس المقري كتابه: «روضة الآس».

الإنتاج الشعري:

- نشرت له بعض الموشحات والمقطوعات في: «درة الحجال»، و«روضة الآس»، و«النبوغ المغربي»، وفي غيرها من المصادر.

مصادر الترجمة:

- أحمد بن محمد ابن القاضي: درة الحجال في غرة أسماء الرجال - تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) ٢٠٠٢.
- أحمد بن محمد المقري: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس - المطبعة الملكية - الرباط (ط٢) ١٩٨٣.
- أحمد زنيبر: ظاهرة المعارضة في الشعر المغربي على عهد السعديين - رسالة دكتوراه - جامعة محمد الخامس - الرباط ٢٠٠١ - ٢٠٠٢.
- خير الدين الزركلي: الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت (ط ٩) ١٩٩٠.
- عبدالله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي - مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني - بيروت (ط٢) ١٩٦١.

عطَّرَ الأرجاء

عـطَّـرَ الأرجـــاء لـمـا نـسَّـمـا
شـمـألُ الـصـهـبـاء عـنـد الـغَـلَـسِ
وأتـت شمسُ الضحى تنسخ ما
يـقـرأ الـلـيـل لـنـا مـن عَـبَـس

☆☆☆☆

طـاف بـالـكـأس مـن الـتُّـرك فتى
مـولـعٌ بـالـصـدّ عـنـي مُـذ فَـتي
فـــتنَ الألـــبـــاب لـمـا الـتـفـتـا
واجـتـنـى مـنـه بـعـضّ الـشّـفـة
وأتـــانـــا بـالـحـمـيّـا فـمـتـى
صـدُّه تـيـهَ الـهـوى عـن أُلـفـتي
وكـــؤوسُ الـــراح بـيـن الـنُّـدَمـا
أرَّجـت بـالـعَـرْف أُفْـق المجلسِ
خـمـرةً صـفـراءَ فـي الـبـلَّـور ما
أشـبـهَ الـراحَ بـروض النرجس

☆☆☆☆

بـادرِ الـلـذّات واجـمـعْ شملها
بُمـــدامٍ وغُـــلامٍ مُـطـربِ
ذي عـيـونٍ نـاعـسـاتٍ كـم لـها
من فنون السحر ما يلعب بي
وافـرِ الأرداف عَـنَّـى حملُها
نـاحـلَ الخَـصـر وذا مـن عجب
كـلّـمـا أفـــرغَ كـأسًـا قـال ما
أنـتَ بـالـشـاري حـيـاةَ الأنـفـسِ
فـابـذلِ الجـهـد وكـن مغتنما
لنعيشَ العيش طيبَ الأنفُس

☆☆☆☆

فُـرصُ الـلـذات كـن مُـنـتـهـزا
بـشـذاهـا قـبـل حَـذف الخبرِ

وليالي الأنس كن مُنتجزا
قبل أن تمضي كلمح البصر
واجتنِ زهر الهوى محترزا
من جنايات هجوم الكِبَر
لا تكن يومًا جبانًا حيثما
لاحتِ اللذات كالمختلسِ
ما مضى يومٌ ووافى مثلما
كان فالدهرُ لنا بالحَرَس

☆☆☆☆

للرياض اذهبْ ترى بلبلَها
يتغنّى بين زهرٍ ينجلي
وخدودَ الروض قد كلّلها
دمعُ طلٍّ لاشتياق البَلَل
وقدودَ البان قد قام لها
مانعُ الغصن مقام الأَسَل
والرُّبا فاحت تحاكي خُزَما
وعليها من ثياب السندسِ
جيبُها زُرِّرَ بالزهر كما
زُرَّ بالفضّة ثوبُ الأطلس

☆☆☆☆

وجلا الروضُ لنا أشجارَه
مائساتٍ في قِباءٍ أخضرِ
وترى في جِيدها أنواره
تتلالا كعقود الجوهر
خلع الليل به أطماره
فغدا كالصبح باهي المنظر
وبقاياه زهت فيه كما
في شفاه الغِيد حسنُ اللَّعَسِ
كعِذارٍ في محيّا عَلَما
فبدا للعين لا للملمس

☆☆☆☆

حبذا الصبوةُ أيامَ الصِّبا
وعيونُ الشَّيب في سهو الوَسَنْ
فإذا أيقظها دهرٌ صبا
لصروفٍ حَدُّ حَدَّيها وَسَن
جرَّد الشيبُ بياضًا أشيبا
واقتفى شرخَ شبابٍ وطعن
وغدا الإنسان شيخًا هَرِما
واعتراه لاعجٌ من هَجَسِ
فإذا ما مات يقضي ندما
واغتنام الوقتِ شُغْلُ الأكيس

☆☆☆☆

لا تدعْ عمرَك يمضي هَدَرا
أنت إذ ذاك جبانٌ غافلُ
وارقَ بالجهد من النُّبل ذُرى
واجتهدْ فالدهرُ ضرعٌ حافل
إنما الأيام أمثال الشَّرى
والجريءُ الشهم ليثٌ باسل
ووحوشُ الأنس تسعى مغنما
باردًا للأَسَد المفترسِ
ترك الوهم وخاض الظُّلَما
وله عزمٌ أضا كالقبس

****

مقطوعات غزلية

(١)

من عنبر الشِّحر أو من مسك دارينِ
بلى ومنه نُسيمات الرياحينِ
مُهفهفٌ إن تثنّى قلتُ مقتضَبٌ
من قطب نعمانَ أو من كُثْب يبرين
ذنبي إليه، ولا ذنبٌ محبّته
من أجلها بسهام اللحظ يرميني
يا ما أميلحَه ظلمًا رضيتُ به
لو أنه دام منه كان يكفيني

معذّبي قد حُرمت النوم بعدكمُ
فانعِمْ بوصلٍ هنيٍّ غير مفتون
ومضٌ على ورد ذاك الخدّ برقُ فم
يعوّض الخدَّ من وردٍ بنسرين

(٢)

أقام بقلبٍ في هواه مقلَّبٌ
وأنّى له بين الضلوع مقامُ
فيا شادنًا يرعى الحشا أنت بالحشا
أما لمحلٍّ أنت فيه ذِمام

(٣)

تبدّى وزندُ الشوق تقدحه النوى
فتُوقد أنفاسي لظاه وتُضرمُ
وهشّ لتوديعي فأعرضتُ مشفقًا
على كبدٍ حرّى وقلبٍ يُقسَّم

(٤)

عارِضا بي ركبَ الحجاز وسله
فمتى عهدُه بأكناف جمْعِ
واستمِلاّ حديثَ من سكن «الخَيْـ
ـفَ» ولا تكتباه إلا بدمع
فاتني أن أرى الديار بطَرْفي
فلعلّي أرى الديار بسمعي

(٥)

وافى بها البستانُ صنوك وردةً
يقضي بها لما مطلتَ وعودا
أهدى البهار مَحاجرًا وأتى بها
في وقته كيما تكون خُدودا
فبعثتها مرتادةً بنسيمها
تثني من الروض النضير قُدودا

(٦)

لا وطَرْفٍ علّم السيفَ فقدْ
في قوام كقنا الخطِّ نَهَدْ
ووميضٍ لاح لما بسمتْ
فأرتنا منه دُرّاً أو بَرَد
ما هلالُ الأفق إلا حاسدٌ
منكِ حُسنًا وعلاءً وغَيَد
ولذا عاش قليلاً ناحلاً
كيف لا يفنى نحولاً من حسد؟

(٧)

تخالفتْ منه عيناه إلى سببٍ
كان اتفاقهما فيه على عطبِ
فحدقةُ العين تُقصيني وتُيئسني
واللحظُ يُطمعني فيه ويسخر بي
أشكو نُهايَ وشوقي كيف [يفترقا]
في أمره وكلا ذا زاد في تعبي
فإن أطعْ ذاك من لي؟ فاتني أربي
أو طعتُ هذا فمن لي؟ فاتني حسبي

❑❑❑

أحمد بن أبي الرِّجال

- ١٢٠١هـ / - ١٧٨٦م

- أحمد بن أحمد بن صالح بن أبي الرجال.
- ولد وعاش وتوفي في اليمن.
- أخذ في الآلات عن القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وعن يعقوب بن محمد بن إسحاق، وعن عبدالقادر بن أحمد، وعن علي بن إبراهيم بن عامر ولازم أعلام صنعاء، وبرع في المعرفة، وشارف على علم الأصول الفقهية.
- شرع في شرح على نظم الزبدة.

الإنتاج الشعري:

- نشرت له بعض القصائد في كل من: «درر نحور العين»، و«نيل الوطر».

مصادر الترجمة:

- إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن (جـ١) - دار الفكر المعاصر (ط١) - بيروت ١٩٩٥.
- لطف الله جحاف: درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين - تحقيق: إبراهيم المقحفي - مكتبة الإرشاد - صنعاء (ط١) ٢٠٠٤.
- محمد بن محمد زبارة: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر - تحقيق: مركز الدراسات والبحوث اليمني- دار العودة - بيروت (د.ت).

قاضٍ لم يسبق

كتب إلى القاضي علي العواجي

رَقَّـى لـدمع المقـلة المتـرقـرقِ
خـفـقـاتُ بــرقٍ منـهـم مـتـألّـقِ
لا يُطلق المأسور من أسر الهوى
والحبُّ في أسر الهوى لم يُطلق
يا ساحرَ المقل التي في سحرها
سحرت على بُعدٍ فـؤاد الشيّق
وسيوفُها في كفّ سلطان الهوى
مـا عُـلِّـم الأوّاب منها لا يقي
ويـصـيـر قـصـدي كـلـما كـلّمتُـه
من جَور وجدي غير ما في منطقي
زُرْ مدنفًا في الحيّ أحيا شوقه
وأهـاجه بـرقُ السحاب الأبلق
ويـكـاد يُتـلف مـهـجـةً مُلِّكتَها
حرُّ الجـوى فتلافَ منها ما بقي
إنـي لأهـوى أن أراك وإن يكن
في الروع من حرب العدو الأزرق
فأصير في أسـرى يديك لأنني
في السلم خـاشٍ أننـا لا نلتقي
هل قد سمعتَ بعاشقٍ حمل الهوى
ويرى سوى التقوى بطرفٍ ضيّق
يهوى ويـهـواه العفاف إذا خلا
إن الـعـفـاف لـغـيـرنـا لـم يَعشق
سلبت ثيابُ النسك مقلتك الفتى
ظلمًا وتزعم أنك الشابّ التقي
حتّامَ يكتم ذو الحجا سرَّ الهوى
في صدره والعيشُ عيش الأحمق
والــرِّيمُ لـم يـأنـس بـصـبٍّ عـاقلٍ
ويميل عن شَـرَك المحبّ المملق

ولقد حملتُ مع الجنوب تحيّةً
ولو استطعتُ حملتها في مفرقي
نحو الذي نحّى «اللُّحَيَّةَ» قاضيًا
فـغـدا الـشـبـيه ببحرها المتدفّق
المنتشي المحيي لكل فضيلةٍ
الـعـالـمِ الـيـقـظ الـبـلـيـغ المفلق
مَـن يغتني المشـتـاق بـاطـنُ كفه
عن لثم وضّـاح الشنيب الأفرق
مـن لـو رمـى بـشـرارةٍ مـن ذهنه
أصلى بها شجرَ الأراك المورق
من يسحر الألباب بالسجع الذي
فِـقَـرُ الـبـيـان بـغـيـره لـم تُـفـتَـق
مـن حلَّـتِ الخمر الحـلال بنظمه
فـأدارهـا فـي كـل بـيـتٍ مُونـق
مـن يطعن الأعـدا بسُمر يراعه
فـتـنـوب عـنـه عـن لـقـاء الفيلق
قـاضٍ قضت فيه الـكـرامُ بسَبقه
والـفـضـلُ قـاضٍ أنـه لـم يُسبَق
أعني عليّاً من رقى شأو العلا
فـعـلا عـلى بـدر الـتـمـام المشرق
من معشرٍ دانت لهم دون الورى
تلك المعالي يرتقي من يرتقي
فـعـلـمـتُ أن الـبـحـر مـنـه قـطـرةٌ
وعجبت من أرضٍ لهم لم تغرق
يا صاحبي هذا صديقك صادقٌ
في شوقه وسـواه من لم يصدق
قلبي بحبل الـودّ عـنـدك مُـوثـقٌ
فـاطـلـقْ فديتك لـلـفـؤاد الموثَـق
وارحـمْ أخـاك بشرح حالك إنه
لحليفُ أشـجـانٍ وقـلـبٍ مُحرَق

****

الإمام المنصور

حُيّيتَ عن ساكني صنعاءَ يا «نُقُمُ»
فقد أزالت دمَ الأعدا بك النِّقَمُ
أعدا إمام الهدى المنصور من شهدت
له أفاعيلُه الغرّاء والشِّيم
بأنه بهجة الدنيا وزينتها
وأنه للإله الصارمُ الخَذِم
المطعمُ الطيرَ في الهيجاء بغيتها
أبطال بغيٍ يقولون الأسودُ هُم
جاؤوا يُساقون للموت الزؤام ضحًى
وقد سعت لهمُ العقبان والرّخَم
ووسَّعَ الوحشُ في البيدا مساكنه
كواحدٍ قد توالت عنده النِّعم
يا أيها الملك المولى الذي طلعت
من كفّه السائران: المجدُ والكرم
تضاحكَ الزهر في دوحاته عجبًا
إذ نوَّرَ الصخرَ في هذا الربيع دم
وكان في الدهر من بغي العدا ألمٌ
الآنَ لا بغيَ موجودٌ ولا ألم
قد مزّقتْ باتراتُ الهند حزبهمُ
وأيتمت منهم الأَبْنا كما يُتِموا
دعوت قبلهمُ في كل معتركٍ
لاتهزل الطير إلا حين تنفطم
تخالها في أكفّ الجيش لامعةً
تنوش أجسامهم حينًا وتلتطم
لو جوَّزَ الشرعُ للإسكاف سلخَهمُ
لم تنفعِ المعتني في سلخها الأُدُم
قد مزَّقتها العوالي يا بنَ حيدرةٍ
ونالها المهزلان: الخوفُ والعدم
كأن جيشك مشغوفٌ بقتلهمُ
في قلبه الخافقان: الرمح والعلم
إن كان أزهى بني الزهراء إن ذكروا
يُكنى رشيدٌ ومأمونٌ ومعتصم
فأنت مَهديْ بني الزهرا وزهرتها
قد طال ما انتظرتك العُرْب والعجم
لا زال مَرقاكَ في العليا إلى رُتبٍ
ما نالها ملكٌ دانت له الأمم

❑❑❑

أحمد بن عمار

١١١٩ - ١٢٠٥هـ / ١٧٠٧ - ١٧٩٠م

- أحمد بن عمار الجزائري.
- ولد في الجزائر وتلقى تعليمه على كبار علماء الدين مثل محمد بن محمد بن علي مفتي الحنفية.
- ورث العلم والجاه وحب الفن والطبيعة عن أسرته التي تنحدر من أصول أندلسية وكان يُعد من نوابغ عصره في الفقه والعلم.
- تسلّم منصب الإفتاء لمالكية الجزائر ما بين ١١٨٠ - ١١٨٤هـ.
- جاور في الحرمين الشريفين مدة اثنتي عشرة سنة.

الإنتاج الشعري:

- له قصائد وردت في كتاب «موسوعة الشعر الجزائري» وكتاب «الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني» و«مختارات مجهولة من الشعر العربي».

الأعمال الأخرى:

- له كتاب بعنوان «نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب» وهو من أدب الرحلات.

مصادر الترجمة:

- أبو القاسم سعدالله: مختارات مجهولة من الشعر العربي - دار الغرب الإسلامي - بيروت (ط١) ١٩٨٦.
- الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري - دار الهدى - عين مليلة ٢٠٠٢.
- شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات - دار المعارف - القاهرة ١٩٩٥.
- مختار حبار: الشعر الصوفي في الجزائر في العهد العثماني (ملحق) - جامعة عين شمس - كلية الآداب ١٩٩٠ - ١٩٩١.

روضة فاتنة

أدرِ الكؤوسَ مع الأصائل والبُكَرْ
واشربْ على نغم البلابل والوترْ
من كفِّ أهيفَ أدعجٍ يسبي المها
والقُضْب، بالقدِّ الرّشيق وبالحَوَر
جـدِّدْ بها وبرشفها عهدَ الصِّبا
واهزمْ بها جيش الوساوس والفِكَر
وأزحْ بها غسق الهموم فإنها
شمسٌ يطوف على النجوم بها قمر
يسقي الندامى من يديه وربما
يسقي اللَّمَى من ثغره بدل السَّكَر
في روضـةٍ نسج الربيعُ بساطها
من سندسٍ وَوَشَى مطارفَها المطر
غَـنَّـاءَ تُـسْـلـي رونـقًـا ونـضـارةً
قلبَ الشجيّ إذا أجالَ بها النظر
بـاكـرتُـهـا ونـسيـمـهـا مـتـأرِّجٌ
يغشى الذي ستَرَتْه أكمام الزهر
والـوُرقُ تُفصح بالهديل كأنها
خُطباءُ مُنشدةٌ، منابِرُها الشجر
فـمصـفِّـرٌ طـربًـا بـوصـلِ حبيبه
ومـغـرِّدٌ بـاكٍ ألـيـفًـا قـد نفر
وتمـايـلـتْ أغـصـانـهـا طـربًـا بما
تُنشيه من ألحانها وقتَ السحر
وتـرنَّـحـت أعـطـافُـهـا فتناثرت
منها الدنانيرُ الدراهمُ والدّرر
ولـواحظُ الأزهـار تقطر بالندى
والروض يضحك، والغمام قد انهمر
والـروحُ قد ضربت رِواقًـا فوقنا
والطلُّ يَرْقُمُ طِرْسَها مهما قطر
والـظـلُّ منها قـد تجـسَّـدَ عنبرًا
مهما يَشُبُّ القيظ مِسكتُه انتشر
واستبشرتْ أغصانها بقدومنا
فتمايلت كيما تعانِقَ من حَضَر
وافـتـرَّ ثـغـرُ الأقـحـوان تبسُّمًا
واحمرَّ خدُّ الورد من فَرْط الخَفَر
والـنَّـوْرُ يـرمقـنـا بمقلـة عـاشـقٍ
لـمْحَ الذي يهوى فأُدهِش إذ نظر
هـل روضـةٌ أم جنة الخلـد التي
هـام الـفـؤاد بـحُسـنـهـا لمـا بَـهَـر
ما إن وردتُ على جحيمٍ قَبْلها
حتى دخلتُ رياضها ذات النَّهَر
وظفرتُ من أزهـارها وطيورها
بِمُنَى التنشُّم والمسامع والبصر
وجنيتُ من أدواحـهـا ثمرَ المنى
إذ كانتِ الـفـردوس دانيـةَ الثمر
مـعْ فتيةٍ متعاقدين على الوفا
فكأنّهم في منظر الدنيا غُـرَر
مـن كـل مُـشـتـمـلٍ بـبُـرد مـروءةٍ
أو كل ملتحفٍ بثوبٍ من خَفَر
الـروضُ يهوى منهمُ أخلاقهم
والبدر يعشق منهمُ حُسْنَ الصور

****

في مدح المفتي ابن علي

أنسيـمُ روضٍ رقَّ في سَـرَيـانـهِ
وثنى القضيبَ فراقَ في مَيَلانِهِ
بعثتْ أرائِـجُـهُ الـسَّـلـوَ لخاطري
فتخلَّصَ المحـزون مـن أحـزانـه
أم روضـةٌ غـنّـاءُ راق رُواؤُهـا
خلـع الـربـيـع بـهـا حُـلَـى ألـوانـه

وبدا لِذُلق الطير فوق غصونها
شَــدْوٌ، يُثار الوجد من ألحانه
وجرى بهاتيك الجداول ماؤها
فبدا انسياب الرُّقط من جريانه
وأمالَ أعطافَ الغصون نسيمُها
لما انبرى للركض في مَيَلانه
وتفتَّقت أكمامها عن زهرها
فتعطَّرَ المضمار من ريعانه
أم لفتةٌ من أغيدٍ يلوي لنا
عن صفحةٍ كالسيف في لمعانه
أحوى كحيلُ الطرف أحوَرُ أهيفٌ
يُزري ببان السفح أو غِزْلانه
فَتَّانُ وسنانُ المحاجر أدعجٌ
نهبَ العقول، ولجَّ في تَيَهانه
جذلانُ بسَّامُ الثنايا فاترٌ
بأبي ابتسامُ الثغرِ من جَذَلانه
نشوانُ، معسولُ المراشف أشنبٌ
بأبي شُمولُ الظلم من نشوانه
ريّانُ، ممشوقُ القوام مُهفهفٌ
بأبي قضيبُ البان من ريّانه
مُتأرّجُ النفحات يعبق خالُه
مِسْكًا، ويعلو العود من أردانه
الشَّحْرُ موقوفٌ على لبّاته
والسحر مقصورٌ على أجفانه
لَبِسَ الجمال، ومَاسَ في أثوابه
متبخترًا، واعتزَّ في سلطانه
الغُصنُ غَضٌّ والشبيبة رطبةٌ
في شرخِها، والحسن في إبَّانه
ما لاح لي إلا أراني شكلهُ
ما ضمَّه الفردوس من ولدانه

سكنَ الفؤاد وجدَّ في تعذيبه
مَا رِيءَ يومًا بالنَّقا أو بانِه
مرأًى يُريكَ فِرِنْدَهُ بحُسامِه
ماءُ الشَّباب يجول في نيرانه
ما جالَ طرفي في غرائب حُسنه
إلا تسلَّى القلبُ من أشجانه
قد خطَّ عارضُه بصفحة خدّه
سطرًا يلوح الحُسن من عنوانه
وشيًا كوَشْيِ الروض راقَ رواؤُهُ
أحببْ بذاك الأُنس في نُعمانه
قل للذي جهل الحقيقة إذ بدا
رَكْبُ السلوّ وجَدَّ في جريانه
ليس السّلوُ لأجله من مذهبي
أبدًا، وأين القلبُ من سلوانه
فالخدُّ حليته ربيع عِذاره
والروض زينته حِلَى ريحانه
فلحُسنه لا حِلتُ عن كَلَفي به
حتى يُضَمَّ الجسمُ في أكفانه
لم أدرِ من أقوى على سلب النهى
ألحاظه أم شِعرُ فرد زمانه
العالمُ العَلَم الذي أحيا لنا
ما قد أماتَ الدهرُ من نَعمانه
الحافظُ البحر الذي ملأ البسيـ
ـطةَ حِفظه، وازداد في فيضانه
راوي حديثِ المصطفى، «ابنُ عليٍّ» الـ
ـمعدودُ، في ذا العصر من أعيانه
ومُفسِّرُ الذكر الحكيم ومُظهر التْـ
ـتَأويل، والممنوحُ فَهم بيانه
والمرشفُ الآذانَ من سلساله
والمقْطِف الأذهانَ من بستانه

مـولًـى تُـقـاةُ الـلـه جُـلّ شِـعـاره

ودِثــــاره ذكــــراه فـي أحـيـانـه

لـو شِـمـتَـهُ والـلـيـلُ مَـدَّ رِواقَـه

مُـتـدفِّـقَ الـعَـبَـرات مـن أعـيـانـه

مـتـبـتّـلاً لـلـه جــلَّ جـلالـه

ومــــردِّدًا لــلآي مــن قـرآنـه

لسمعتَ قول الله غضّاً يُجتنى

وترى قيام الليل من عُثمانه

شَفَعَ المهابة بالدعابَة واغتدى

كالطَّوْد أو كالروض في نيسانه

ما شـانَـهُ بَـسْـطٌ متى مـا زانـه

وَرَعٌ، وزاد الدين في رُجْحانه

أدبٌ يُريكَ الروضَ وقت ربيعه

وتَـنَـسُّـكٌ يُدنيك من رحمانه

لـعِـبٌ بـأطـراف الـكـلام لسانُه

والـفـصـلُ مـوقـوفٌ على تِبيانه

فأصِخْ إليه السمع عند حديثه

تسمعْ فصيح القول من «سَحْبَانه»

أو جُلْ بذهنك في محاسن نظمه

تظفرْ بحُرّ الشّعر من «حَسَّانه»

ما خاض يومًا نطقُه في حِكمةٍ

إلا اختفى «سُـقـراطُ» بين دِنَانه

وإذا تكلَّمَ فوق منبر وَعْظِه

جَلّى لنا «البصريّ» في أزمانه

خـدم الـبـلاغـة والـبـراعـة دهـرَه

حتى انثنى والشِّعرُ طوع لسانه

نَـظْـمٌ لـه تـتـدفّـقُ الآداب من

جَـنَـبـاتـه والـعـلـمُ مـن أركـانـه

فـإذا يُشَبِّبُ فهو «عـروةُ» رِقَّـةً

يُهدي رقيق النسج من «غِيلانه»

وإذا يصوغ المدحَ فهو «زُهَيره»

مهما انبرى للقول في «ابن سنانه»

وإذا اغتدى يصفُ المباني والذُّرى

خرَّ «ابن حَمْدِيسٍ» على أذقانه

أو جالَ في وصف الرياض وفي الربا

أعرى «أبا إسحاقَ» من إحسانه

فهو الذي راض البيان وساسَهُ

حتى اغتدى ينقادُ في أرسانه

في النَّظمِ أو في النثر تحسبه الذي

يُعزَى إلى «سلمانَ» أو «خاقانه»

هذي القلائِدُ صاغها، ووشَت لنا

ريـحـانـةُ الـكـتّـاب غُـرَّ بيـانه

لـولا الإحـاطـة بالبلاغة ما ثَنَى

عـن مطمح العلياء أهـلَ أوانـه

يـا بـارعًـا صـاغـت لـنـا أفـكـاره

نظمًا يـحـار الـعـقـل فـي إتقانه

أتحفتَني بفريدةٍ ماحاكها «الطْ

طائيْ»، ولا «الصابيُّ» في بغدانه

جَـهِـلَ الـصَّـوابَ ولـجَّ في تعنيته

مَـن قـاسـهـا بـالـدُّرّ فـي تِيجانه

قسمًا بما أودعتَـهـا مـن حكمةٍ

ما تلك إلا النجمُ من «كِيوانه»

خلعتْ علينا من ثنائكَ خِلعةً

مـا حـازهـا كـسـرى عـلـى إيـوانـه

بـرزتْ فـلاح الحُسن من ذلفائه

وتكامل الإحسان من «بُورانه»

وأتـت تُرينا العِزَّ من «بلقيسِه»

والـمُـلْـكَ من «كسراه»، أو «نعمانه»

سَـفَـرَتْ لنا عـن غُـرَّةٍ ما قابلتْ

بـدرَ الـدّجـى إلا اختفى بعنانه

****

ليلة أنس

وليلةِ أُنْسٍ لذَّ فيها جنى السَّمرْ

فناهيك من أنسٍ جنيناه بالسهرْ

هصرتُ بها غصنَ المسرّة والمنى

وجَـرَّرت أذيـال السعادة والظفر

وفزت بمن أهوى على صولة النوى
فنزَّهتُ فيها القلب والسمع والبصر
فلا غصنَ إلا من رشيق قوامه
ولا بدرَ إلا من أزرّته ظهر
فيا ليلةَ الأفراح والأنس طَوِّلي
قليلاً ويا ليلَ المسرّة فاعتكر
ويا صبحُ لا تسفرْ علينا فإننا
غنينا بأسفار الغلائل والغُرر
إلى الله أشكو ما جنت ليلةُ اللقا
على قلبيَ المشغوف من شدّة القِصَر
فما التحفتْ شمسُ الأصيل بجنّها
إلى أن بدا للصبح نورٌ قد انتشر
خليليَ هل يسخو الزمان بليلةٍ
تَبسّمُ فيها السعد عن شنب الوطر
ولستُ أظنّ الدهر يأتي بمثلها
ولا العيشَ يصفو طعمه من جنى الكدر
فأحببْ بها من ليلةٍ حِمْيريّةٍ
رشيديّةٍ لم يحوها زمنٌ غبر

❑❑❑

أمين المحبي

١٠٦١ - ١١١١هـ / ١٦٥٠ - ١٦٩٩م

- محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد بن محب الدين بن أبي بكر المحبي، الحموي الأصل.
- ولد ونشأ وتوفي في دمشق.
- اشتغل بطلب العلم، فقرأ على العلماء: إبراهيم الفتال، وإبراهيم العطيفي، وعبدالغني النابلسي، وعلاء الدين الحصكفي مفتي دمشق، وعبدالقادر العمري، ونجم الدين الفرضي، ومحمود بصير الصالحي الدمشقي، وأجازه الشيخ يحيى الشاوي، ومحمد بن سليمان المغربي، وفي الحجاز أخذ عن علمائها من مثل: حسن العجيمي المكي، وأحمد النخلي المكي، وإبراهيم الخياري المدني.
- برع في مختلف علوم الفقه، وفي الإنشاء، ونظم الشعر، كما اشتهر بحسن خطه وجماله.
- ناب في القضاء في مكة المكرمة، وفي مصر، وولي التدريس في المدرسة الأمينية بدمشق إلى حين وفاته.

جامعة القديس يوسف
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
معهد الآداب الشرقية
بيروت

ديوان محمد أمين المحبيّ: دراسة وتحقيق

رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها

أعدّها
يوسف صبري عبد الغافر

وأشرف عليها
الأستاذ الدكتور: أنيف ...

١٩٩٩

الإنتاج الشعري:

- له ديوان شعر قام بتحقيقه يوسف صبري عبدالغافر، وقدمه رسالة ماجستير بجامعة القديس بطرس - بيروت ١٩٩٩.

الأعمال الأخرى:

- جاوزت مؤلفاته العشرين منها: «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة» وهو تذييل لريحانة الألبا لشهاب الخفاجي (في التراجم)، و«خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» أورد فيه ستة آلاف ترجمة لعلماء ومشاهير القرن الحادي عشر الهجري، و«المعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه»، و«المثنى الذي لا يكاد يتثنى»، و«قصد السبيل فيما في لغة العرب من الدخيل»، و«الدر المرصوف في الصفة والموصوف»، وكتب تعليقًا على ديوان المتنبي، وحاشية على القاموس المحيط، أسماها «الناموس» فضلاً عن كتاب أمالي.

مصادر الترجمة:

- أحمد بن محمد الحيمي: طيب السمر في أوقات السحر - تحقيق: عبدالله محمد الحبشي - المجمع الثقافي - أبوظبي ٢٠٠٢.
- محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - تحقيق: محمد حسن إسماعيل - دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) ٢٠٠٦.
  : نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة - تحقيق: أحمد عناية- دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٥.
- محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - تحقيق: أكرم حسن العلبي - دار صادر - بيروت ٢٠٠١.

محاسن دمشق

سقى دمشقَ موطنَ الأوطارِ
دمعي وصوبُ العارض الزخّارِ
حتى يُروِّيا بها كلَّ رُبًا
تصوَّرت في صورة الأنوار
يسافر الطَّرْف بها إلى مدًى
يُغني بها الخُبْر عن الأخبار
وباكرت نيربَها نُسيمةٌ
عابقةٌ في روضه المعطار
من قبل أن تصدى بأنفاس الورى
بَليلةُ الأذيال في الأسحار

فنبّهتْ أطفال نبتٍ نُوَّمًا
ترضع ثدي الدِّيمة المعطار

وللرياض طيبُ أنفاسٍ بها
تهدي الثناء الجمَّ للأمطار

يتلو خطيبُها بصوتٍ شاكرٍ
مِدحتَه في منبر الأشجار

وينشر الزهر فينظم الندى
يا حسنَ ذاك النظم والنِّثار

لوى القضيب ثم جِيدًا غنمت
تقبيلَه مباسمُ الأنوار

والماء في خريره منهمكٌ
والطير عاكفٌ على التهدار

إن ردَّه اللحنُ انثنت غصونها
تسمع منه رنَّة الأوتار

وربما انحنت لتقرا أسطرًا
في النهر خَطَّها النسيم الساري

والنَّوْرُ قد فتَّح عن أكمامه
وفكَّكَ الوردُ عن الأزرار

و«الربوةُ» الغنّاء حناها الصَّبا
فنفحت عن جَونة العطّار

أُعيذ بالسبع المثاني دوحَها
على احتواء السبعة الأنهار

و«ديرُ مُرَّانَ» القديم لا عدتْ
سُحبُ الحَيا ما فيه من آثار

فيه حديثُ الببَّغا وعهدُه
حَلْيٌ لِجيد سالف الأعصار

و«المرجةُ» الفيحاء والوادي الذي
منظره الباهي جلا الأبصار

معاهدٌ فيها الندامى أغصنٌ
مثمرةٌ فواكهَ الأسمار

من كلّ وضّاح الجبين مُسفرٍ
عن طلعةٍ تهزأ بالأقمار

فالنجمُ سارٍ طالبًا لقيته
لذاك قد لُقّب بالسيّار

وشابَ حزنًا طرفُه وما رأى
شبيهَه في الفلك الدوّار

يعرق وجهُ الكأس بالحَباب إن
فاه وخَدُّ الروض بالقِطار

مُنتقبٌ بالورد من خجلته
جُودًا ومُرتدٍ حُلى الوقار

وكلُّ مختار المعاني حسنُه
قَيدُ النُّهى وعُقلة الأفكار

تلميذه «هاروتُ» يروي فنَّه
عن لفظه عن طَرْفه السحّار

أهدت لي السقمَ عيونُه لذا
وهبتُها النوم عن اضطرار

خطَّ الجمالُ فوق طِرس خَدِّه
سطرًا برأس القلم الغُباري

أرى على وجنته دائرةً
حرَّرها الجمال بالبركار

فالخالُ في كرسيّها قد استوى
كمركزٍ لذلك المدار

قد كاد موج رِدفه يُغرقه
لولا اعتلاق الخصر بالزنّار

وكاد أن يسيل لولا أنه
جاذبَه تَشبُّث الإزار

أذكرُ عهده فمن تأوُّهي
فحمُ الدجى محترقٌ بالنار

وإن تقلَّقتُ لماضي عهده
فإنّ عذري سيّد الأعذار

ولـي إلـى الجـامـع شـوقٌ والـهٌ
لا يـفـتـر الـدهـرَ عـن الـتـذكـار
لـلـه أقـــــوامٌ بــه أعـــزّةٌ
مـن خُـلَّـص الأخـيـار والأبــرار
فـي جُـنـح لـيـلاتـهـم أذكـارُهـم
تـعـرفـهـا بـلابـلُ الأسـحـار
كم دعوةٍ في المَحْل أضحت لهم
تفري جفونَ السحب باستِعبار
فـارقـتُـهـم لا عـن رضًـى وإنمـا
عِـنـانُ عـزمـي فـي يـد الأقـدار
نشوانُ خمر السُّهد طرفي نومُه
أغـرقـه الـبـكـاء فـي تـيّـار
ومـا بـكـائـي غـيـرُ رشّ أدمـعٍ
يُـوقـظ مـن نـومـتـه اصـطـبـاري
لـعـلّ مـن لـطـف الإلـه مَـددًا
يـوصـلـنـي بـهـم إلـى ديـاري
فأكسبُ الـفـوزَ بفضل قربهم
فـربمـا يُـجَـرُّ بـالجِـوار
لا زال ريـحـانُ تحـيّـاتـي لهم
يـرفّ في روض الثنا المعطار
واللطفُ ما زال يُحيّي أرضهم
تحـيّـةَ الـنـسـيـم لـلأزهـار

****

آفة العقل الهوى

في مدح الرسول ﷺ

دعِ الـهوى فـآفةُ العقل الهوى
ومـن أطـاعـه مـن المـجـد هـوى
وفـي الـغـرام لـذّةٌ لـو سلمتْ
مـن الـهـوان والمـلام والـنـوى
وأفـضـلُ الـنـفـوس نـفـسٌ رغبت
عـن عَـرَض الـدنـيـا وفتنة الظِّبا
والـعـشـق جـهـلٌ والـغـرام فتنةٌ
ومـيّـت الأحـيـاء مُـغـرم الـدُّمـى
قـالـوا لنا الـغـرام حلية الحِجى
قلنا لهم بل حلية العقل التُّقى
وهـل رأيتم في الهوى أذلَّ من
مـعـذَّبٍ تـلـهـو بـه يـدُ الـهـوى
أو أحـــدًا أغـــبنَ مـن مـتـيّـمٍ
تـقـوده شـهـواتـه إلـى الـردى
ولـلـغـوانـي فـتـنـةٌ أشـــدّ من
قتل النفوس والفتى من ارعوى
ومـا على ساجـي الجفـون راقـدٍ
مـن دنـفٍ يبيت فـاقـدَ الـكـرى
مـظـنـةُ الجـهـل الـصِّـبـا وإنمـا
مفسدة المرء الشباب والغنى
والـنـفـسُ ما علمتَها فـإن تجد
ذا عـفّـةٍ فـزهـده مـن الـرِّيـا
والـنـاسُ إمّـا نـاسـكٌ بجهله
أو عـالـمٌ مُـفـرِّطٌ أو لا ولا
كـأنـهـم أفـيـال شـطـرنجٍ فلا
يُـظـاهـر المـرء أخـاه فـي عَـنـا
وإن خفـيـتُ بيـنـهم عذرتُـهـم
فـشـدّةُ الـظـهـور تُـورث الخَـفـا
ولـيـلـةٍ بـــتُّ أعـــدّ نجـمـهـا
والدمعُ ملء الجفن محلول الوِكا
ولـم يطل ليلي ولـكـنّ الجـوى
يجعل ليلَ الصيف من ليل الشِّتا
والـشـوقُ كالليل إذا الليلُ دجا
والليل كالبحر إذا البحر طمى
كـأنمـا المـرّيـخ عـين أرمـدٍ
أو جمرةٌ من تحت فحمة الدجى

كـأنما «الـسُّـهـى» أخـو صبابةٍ
يـكـاد يُخفيه السقام والضنى
كـأنما «سُـهـيـلُ» راعـي نَـعَـمٍ
أو فـارسٌ يُـعـدّ جيشًا للوغى
كـأنما «الجـــوزاء» عِـقـد جوهرٍ
أو سِبحةٌ أو مبسمٌ عذب اللمى
كـأن مُـنـقـضَّ الـنـجـوم شـذرٌ
تثيره الـريـاح مـن جمر الغضا
كـأنما الـسُّـحـبُ سُـتـورٌ رُفعت
أو مـوجُ بـحـرٍ أو شـوامـخ الفلا
كـأنمـا الـرعـد زئـيـر ضـيـغـمٍ
قد فقد الأشبال أو صوتُ رحى
كـأنمـا الـبـرق حـسـام لاعـبٍ
يـديـره فـي يـده كـيـف يشا
كـأنمـا الـقَـطْـر لآلٍ نُـثـرتْ
على بـسـاط سـنـدسٍ يـومَ جِلا
كـأنمـا الـهـمُّ غـريمٌ مُـقـسِـمٌ
أن لا يـغـيـبَ لحظةً عـن الحشا
كـأنمـا الـقـلـب مـكـلَّـفٌ بـأن
يـحـمـل منه مـا تحـمَّـلَ الـورى
كـأنمـا وجـه الـبـسـيـط شـقّـةٌ
لا تـنـطـوي ولا لحـدِّهـا انـتـهـا
كـأنـنـي مـوكّـلٌ بـذَرْعـهـا
مـن قِبَلِ الخِضْـر بـأذرع الخُطا
لا أسـتـقـرّ سـاعـةً بمـنـزلٍ
إلا اقـتـضـى أمـرٌ يـجـدّد الـنوى
ولا تـرانـي قـطُّ إلا راكـبًا
في طلب المجد وتحصيل العلا
والحرُّ لا يرضى الهوان صاحيًا
ولـيس دار الـذل مسكنَ الفتى
والـعـقـلُ فـي هـذا الـزمـان آفـةٌ
وربمـــا يـقـتـل أهـلَـه الـذَّكـا
وذو الـنـهـى مـعـذَّبٌ لأنـه
يـريـد أن تـرى الأنـام مـا يرى
والناسُ حمقى ما ظفرتُ بينهم
بعاقلٍ في الرأي إنْ خطبٌ دهى
وكـلـما ارتـقـى الـعـلا سَريُّـهـم
كـفَّ عـن الخيـرات كـفّاً وطـوى
يـهـوى المـديـحَ عـالِـمًا بنقده
ودون نـقـده تـنـاول «الـسُّـهـى»
وإن طـلـبـتَ حـاجـةً وجـدتَـه
كمشجبٍ من حيث جئتَ فهو لا
إن أوعـدوا فالفعلُ قبل قولهم
أو وعـــدوا فـإنـهـم كـالـشُّـعـرا
والآن قـد رغـبـتُ عـن نوالهم
وتُبت عن مديحهم قبل الهِجا
لا ينبغي الشعرُ لـذي فضيلةٍ
كيف وقد سُدَّت مذاهب الرجا
وخـابـتِ الآمـال إلا فـي الـذي
حِـمـاه مـلـجـأ الـعُـفـاة الضُّـعـفا
مـحـمـدٌ خـيـر الـنـبـيّين ومـن
سرى إلى السبع الطِّباق ورقى
شُـــقَّ لـه الـبـدرُ المنـيـر جـهـرةً
وسبّحت في كفّه خُرس الحصى
وفــاض مـن راحـتـه المـاء وقـد
سقى به الجيش العظيم فارتوى
مـفـاخـرٌ لا يـنـتـهـي إحـصـاؤهـا
ولا يطيق حصرَها أهـلُ النهى
وكيف يستوفي البليغ مدحَ من
أثـنـى عـلـيـه الـلـه أعـظـمَ الـثَّـنـا

يا خيرَ من يشفع في الحشر ومن
أفلحَ قاصدٌ لبابه التجا
كن لي شفيعًا يومَ لا مشفَّعٌ
سواك يُنجي الخائفين من لظى
قد عظم الخوف لما جنيتُه
والعفو عند الأكرمين يُرتجى
وليس لي عذرٌ سوى توكّلي
على الكثير عفوهُ لمن عصى
لولا الذنوب ضاع فيضُ جوده
ولم يبِنْ فضلك بين الشُّفعا
وهاكها خريدةً مقصورةً
على معاليك ومهرُها الرضا
إن قُبلتْ فيا لها من نعمةٍ
وهل يخاف وارد البحر الظَّما
صلّى عليك ذو الجلال كلما
صلّى عليك مخلصٌ وسلَّما
وباكرتْ ذاك الضريح سُحْرةً
حواملُ المزن يحثّها الصَّبا
ما سُلَّ عضبُ الفجر من غِمد الدجى
وما سرى ركب الحجاز مُدلجا

****

مفتي دمشق

يدُ ابن أحمدٍ وفضل أحمدِ
تُعلّم الناس طريقَ الرَّشَدِ
لولاه أصبح الوجود عاطلاً
ولم يَبِنْ في الدهر طيبُ المحتد
مفتي دمشقَ الحَبر من صفاته
ألذّ من وصل الحسان الخُرَّد
مَن عنده اللذةُ إدراكُ المنى
وأنكر الأصوات صوت «مَعبد»
لا يعلم الهزل ولا يحبّه
ولا يميل طبعه إلى الدَّدِ
تُسهره الأفكار في مفاخرٍ
يبدعها أو مكرماتٍ يبتدي
ينظم منثوراتِها فهي على
جِيد العلا كاللؤلؤ المنضَّد
مذ حلَّ في بلدتنا رِكابه
هُدِيْ به من لم يكن بالمهتدي
وأصلحَ الناسَ صلاحُ سرّه
فليس من حَدٍّ بها أو قَوَد
يا جِلَّقَ الشام سقاك عارضٌ
من فضله يُمطر صوبَ العسجد
ما أنت إلا في البقاع مثله
في العلماء أوحدٌ لأوحد
ما شرَّفَ الديار غيرُ أهلها
أحِليةُ العيون غيرُ الإثمد
ما مصرُ إلا حيث حلَّ «يوسفٌ»
لا نسبٌ بين امرئٍ ومعهد
إن صدق الظنُّ فقُرب رتبةٍ
من رتبةٍ كبلدٍ من بلد
أنجبَ فينا غصنَ فضلٍ مثمرًا
بالمعلوات والندى والسؤدد
تشابهَ الغصنُ وروضه وقد
يظهر في الوالد سرُّ الولد
حكاه في عفّته وفضله
والشبلُ في المخبر مثل الأسد
لا برِحا في عزّةٍ دائمةٍ
لا تنقضي ما بقيا للأبد
فإنّ في بقاهما صونُ العُلا
عن أن تُمسَّ بيدٍ لأحد

****

مفاتن الأزبكية

يا حبّذا خُضرُ الخما
ئلِ في رياض الأزبكيّه
وخفوقُ أرديةِ النسيـ
ـمِ سرى ببقعتها النديّه
أرضٌ تكنَّفَها الحدا
ئقُ والرياض الأريضيّه
وتعطَّرت أرجاؤها
بالرائحات المندليّه
فَوّاحةٌ بشذا العبيـ
ـرِ، وعابقاتٌ عنبريّه
وترنَّمتْ أطيارها
سَحَرًا بأصواتٍ شجيّه
وإذا تأمَّلتَ القصو
رَ بها عرفتَ بها المزيّه
ومُنِحتَ ما تختار من
طرف المُرادات البهيّه
ومُنيتَ ما تهواه من
تلك الوجوه الأصبحيّه
وتمايلت شوقًا لطلـ
ـعتكَ القُدود السمهريّه
وقصرتَ كلَّ هوًى على
خَصَر الخصور الخاتميّه
وخلصتَ من سهم العيو
نِ، وأنت يا قلبي الرميّه
من كل مرهوب الشَّبا
في لحظه رُسُل المنيّه
وإذا أشار ملاطفًا
ويلاه من تلك البليّه
يدعو النفوس إلى التِّلا
فِ، وليس يدري ما القضيّه
وعلى تلفُّت جيده
كم حار مُرتاد التقيّه
ونصيبُه في الحسن حيـ
ـثُ الشمسُ غُرّته المضيّه
فاخترْ هنالك مربعًا
تُكفى به كلَّ البليّه
وتُقيم موفورَ المنى
وتحفّك المِنن الحفيّه
في ظلّ «زين العابديـ
ـنَ» الشهم أستاذ البريّه
مولًى أناخ المجد في
أعقابه البيض النقيّه
وتشرَّفتْ بجنابه
شرفُ القُروم المولويّه
فالفضلُ فضل فتًى له الـ
إنعام والحسنى سجيّه
والفخر شنشنةٌ لَه
ولقد أراها أخزميّه
الحِلمُ وصفٌ قصَّرت
عنه السجايا الأحنفيّه
والجودُ كل الجود في
شِيم غذته حاتميّه
ضاهى بمقعده «السُّها»
فغدت منازله العليّه
وجرى القضاء بوَفق ما
يرجوه من حُسن الطويّه
مولايَ حيّا الله وَجْـ
ـهكَ بالتحيّات الزكيّه
ورعاك ما دام الدوا
مُ بعيشة العمر الهنيّه

أنا من عرفتَ بأنه
منسوب سُدَّتك السنيّه
وإليك لي حقٌّ انتما
ءٍ فاجرِ حقَّ المالكيّه
وأَقِلْ عِثاري إن سقطـ
ـتُ لضعف حالي في الهويّه
فأنا الذي خطَّيت رحـ
ـلي في حماك حمى الحميّه
وأرحتُ من تعب الحيا
ةِ هناك جسمي والمطيّه
ما لي بَراحٌ ما برحـ
ـتُ، وكان في عمري بقيّه
ما الكدُّ في داري ولا
أرضِ القلاع الأعصميّه
كلا ولا لي ما حييـ
ـتُ بجلّقٍ والروم نِيّه
إلا جوارك مُنيتي
حيث الهبات الأريحيّه
حيث الأخلاّء الكرا
مُ ذوو الفكاهات الجنيّه
من كل وضّاح الصبيـ
ـحةِ وهو بسّام العشيّه
لا زلتَ تخدمك الأفا
ضلُ والسَّراة اللوذعيّه
وإليكها مختارةً
من جِلّق الشام الزهيّه
غنّاءَ حالية المقلْـ
ـلدِ بالعُقود الجوهريّه
غُذيت أوانَ شبابها
بشميم سفح «الصالحيّه»
وتروَّحت بالشِّيح والـ
ـقيصوم من تُرَبٍ زكيّه
وكسا معاطفها الدلا
لُ، حُلى الجمال السندسيّه
تُوليك من طرف المقو
لِ نفائسَ الدرِّ السنيّه
وتبثّ مدحك في الورى
بصفاتك الغُرّ الرضيّه
فاهنأْ بها وبمثلها
من خالص الطُّرف الطريّه
وبقيتَ ما بقي البقا
ءُ، وأنت ميزان البريّه
تحبوك في أمر المنى
ألطافُ مولاك الخفيّه

❑❑❑

أيمن البزولي

٦٥٩ - ٧٣٤هـ / ١٢٥٩ - ١٣٣٣م

- أبوالبركات، أيمن بن محمد بن محمد .. البزولي السعدي.
- تونسي الأصل، رحل إلى القاهرة وكان كثير الهجاء والوقيعة بين الناس، ثم قدم المدينة المنورة فجاور وتاب والتزم مدح النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته وسمَّى نفسه «عاشق النبي»، وكان ملازمًا للتلاوة يقرأ كل يوم ختمة وبعض الأوقات ختمتين في اليوم والليلة.

الإنتاج الشعري:

- جمع ديوانًا كبيرًا اقتصر فيه على مدح الرسول ﷺ.

مصادر الترجمة:

- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - صححه: عبدالوارث محمد علي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٧.
- صلاح الدين الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر - تحقيق: علي أبوزيد وآخرون - دار الفكر ١٩٩٨.
: الوافي بالوفيات - دار إحياء التراث - بيروت ٢٠٠٠.
- محمد عبدالرحمن السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٣.

توسُّل

حللتُ بدارٍ حلّها أشرفُ الخَلْقِ
مُحمَّدٌ المحمودُ بالخَلْق والخُلْقِ
وخَلَّفْتُ خلفي كلّ شيءٍ يعوقني
عن القصد إلا ما لديّ من العشق
وما بي نهوضٌ غيرَ أنّيَ طائرٌ
بشوقي وحسنُ العَون من واهب الرزق
محمَّدُ يا أوفى النبيين ذِمَّةً
ظمئتُ وقد وافيت بابك أستسقي
تعاظمَ إجرامي وجلَّت خطيئتي
وأشفقت من فعلي القبيح ومن نُطقي
وأنت شفيعٌ في الذنوب مُشَفَّعٌ
فخذ لي أمانًا في القيامة بالعتق
صلاةٌ وتسليمٌ عليك ورحمةٌ
على الآل والصحبِ الكرامِ أُولي الصّدق

****

جارٌ للنبي

فررتُ من الدنيا إلى ساكن الحمى
فَرارَ محبٍّ عائذٍ بحبيبِ
لجأتُ إلى هذا الجناب وإنما
لجأتُ إلى سامي العماد رحيب
وناديتُ مولاي الذي عنده الشِّفا
لداء عليلٍ في الديار غريب
أمولايَ دائي في الذنوب وليس لي
سواكَ طبيبٌ يا أجلَّ طبيب
تناومتُ في إظلامِ ليلِ شبيبتي
فأيقظني إشراقُ صبحِ مشيبي
وجئتُكَ لما ضاق ذرعي بزَلَّتي
وأشفقت من جُرْمي مَجيء سليب
وما أرتجي إلا شفاعتك التي
بها يَبْلُغُ الراجي ثواب مُثيب
فقال: لك البشرى ظفرت من المنى
بأسعد حظٍّ وافرٍ ونصيب
فدامت مسرّاتي وزادت بشائري
وطاب حضوري عنده ومغيبي
أنا اليومَ جارٌ للنبي بطيبةٍ
فلا طِيْبَ في الدنيا يُقاس بطيبي

****

العمر يوم وليلة

بلغتُ بشعري في الصِّبا وعقيبه
جميع الأماني من جميع المطالبِ
فلمّا رأتْ عينايَ سبعين حِجَّةً
قريبًا هجرتُ الشعر هجر الأجانب
أيجملُ بالشيخ الذي ناهزَ الفَنا
بقاءٌ على ذِكر الصّبا والكواعب؟
حشتُ السّرى ليلَ الشباب فكيف لا
أريحُ لِذي صُبح المشيب بجانب
لعمري فإنَّ العمر يومٌ وليلةٌ
يكرَّان، والدنيا مناخٌ لراكب

****

الحُسن بالتقوى

أنا المحبّ إذا ما
أراك بَرّاً تقيَّا
وعنك أسلو إذا ما
أراك تسلُكُ غَيَّا

فـاخـتـرْ لـنـفـسك عـنـدي

زِيّـــــــاً بـــه تَـتــزيَّـــا

إمّـــا عَــفــافًــا وصَـــونًـــا

أو فــاطــوِ مــا كـــان طـيًّا

وابْـــعِـــدْ إلـــى أن تـرانـي

مــن الـــثَّـــرى كـــالـــثُّـريَّـا

لا حُـــسْــــنَ إلا بـتـقـوى

دع عـنـك حُـسْـنَ الـمُـحيَّا

****

كم تمنيتها

إن عــيــدًا بـطـيـبـةٍ وصـــلاةً

بمصلّى الـرسـول فـي يـوم عيدِ

نِعمٌ ضاق واسعُ الشكرِ عنها

فـهي بشرى لـكـلِّ عـيـدٍ سعيد

كـم تمنَّـيـتُـها فـنـلـتُ التَّـمني

آخــرَ الـعـمـر مـن مـكـانٍ بعيد

وإذا كـان فـي البَـقيعِ ضريحي

وتـوسَّـدتُ طـيـبَ ذاك الصَّعيد

****

معاناة ولوعة

وكم رمتُ كتْمَ الحبّ عمّن أحبّه

وكيف بكتم الحبّ عن ساكِنِ القلبِ؟

إذا أصلحَ السّرّ المصون بخاطري

تقلَّبَ مني القلبُ جنبًا إلى جنب

فيبدو ولا تبدو سَرائِرُ لوعتي

وتخفى، ولا تخفى وفي الحال ما يُنبي

****

انكسار العاشقين

لــلــعــاشــقــين انــكـــســـارُ

وذِلّـــــــــــةٌ وافــــتــــقـــــارُ

ولــــلــــمِـــلاح افـــتــــخـــارُ

وعِـــــــــــزَّةٌ واقـــــتــــــدار

وأهــــلُ بَـــــــدْري أشـــاروا

وودَّعـــــونـــــي وســـــــاروا

يـــا بـــــدرُ أهـــلـــكَ جـــاروا

وعَـــلَّـــمـــوك الـــتـــجـــرِّي

☆☆☆☆

كـــتـــبـــتُ والــــوجـــدُ يُمـلـي

جـــدَّ الـــهـــوى بـعـد هـزلـي

وحــــــارَ ذهــنــي وعــقـــلـي

مـــــا بـــيـن بــــــدرٍ وأهــــل

يـــا بــــدرُ فـــاحـــكـــمْ بـعـدلٍ

إذا أتــــــــوك بـــعـــذلـــي

وحـــــرَّمـــــوا لـــــك وصْـــلـي

وحـــلّــلـــوا لـــك هـــجـــري

☆☆☆☆

لــــــولا هــــــــواك المــــــــرادُ

مـــا كـــنـــت ممــــن يُـــصَـــادُ

ولا شـــجـــانـــي الـــبِـــعـــادُ

يـــا بـــــدرُ أهـــلـــك جـــادوا

غـــلـــطـــتُ جــــــاروا وزادوا

لـــكـــنـــهـــم بـــــك ســـــــادوا

دع يــفــعــلــوا مـــا أرادوا

فـــإنــــهــــم أهـــــــل بــــــدر

❑❑❑

بدرالدين الغزي

٧٠٦ - ٧٥٣هـ / ١٣٠٦ - ١٣٥٢م

● الحسن بن علي بن حمد بن حميد بن إبراهيم بن شنار.

● ولد بغزة، وتعلم ونشأ بها، ثم ارتحل إلى دمشق حيث التقى المشهورين ممن يعملون بديوان الإنشاء مثل ابن فضل الله العمري الذي التحق معه للعمل بالديوان، كما التقى في دمشق الشاعر ابن نباتة، والخطيب جلال الدين القزويني وأولاده، وبصلاح الدين الصفدي الذي نقل كثيرًا من شعره.

الإنتاج الشعري:

● له قصائد وردت في: «ألحان السواجع بين البادي والمراجع»، و«المقفى الكبير»، و«شذرات الذهب».

● وضع رسالة نظمًا ونثرًا سمَّاها «قريض القرين» عارض بها ابن شهيد في رسالته «التوابع والزوابع».

مصادر الترجمة:

● ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب - دار الكتب العربية - بيروت ١٩٩٨.

● ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - صححه: عبدالوارث محمد علي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٧.

● أحمد بن علي المقريزي: المقفى الكبير - تحقيق: محمد اليعلاوي - دار الغرب الإسلامي - بيروت ٢٠٠٦.

● أحمد درويش: الروائع من الأدب العربي - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ٢٠٠٨.

● أحمد محمد عطا: ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام - مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٩٩.

● صلاح الدين الصفدي: ألحان السواجع بين البادي والمراجع - تحقيق: محمد عبدالحميد سالم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ٢٠٠٥.

● محمد زغلول سلام: الأدب في العصر المملوكي - منشأة المعارف - الإسكندرية (د. ت).

معارضة لموشح ابن سناء

أذكى الجوى وهاجَهْ برد اللمى في ثغر ريمْ مـائِـس الـقَـــــدِّ

يحميـه أن أرومَـهْ لحظٌ أرى فَرط الفتورِ سـيـفُـهُ الـهـنـدي

☆☆☆☆

ظـــبـــيٌ رمــــــى فــــؤادي

مــــن لحـــظـــه بـــســـهـــمِ

وقــــــد حــمــى رُقـــــادي

لمـــــا أبــــــــاح سُــقــمــي

فـــالـــطَّـــرْفُ لـلـسُّـهـاد

ولـــلـــسّـــقـــام جـسـمـي

واعْـــجَـــبْ مـــن انـقـيـادي

إلـــيـــه وهــــــو خـصـمـي

لكنَّها اللَّجاجَه ترمي بها عقل الحليمْ سَـــوْرَةُ الـوجــدِ

إيَّاك أن تلومَهْ فاللَّومُ في هذي الأمورِ قـلَّـمـا يُـجــــدي

☆☆☆☆

أفـــديـــه ظــبــي أُنـــــسِ

ألمـــى الــشــفــاه أحــــوى

حُـــشَـــاشـــتـــي ونـفـسـي

مَـــرعًـــى لــــه ومـــثـــوى

كــــذَّبـــتُ فـيـه حِــسِّــي

إذ لـــم تُـــلِـــنْـــهُ شـكـوى

وجـــســمُـــه بِـلَـمـسـي

عــنــد الــعــنــاق يُـطـوى

يا حُسنَ الاندِماجه في خَصره المضنى السَّقيمْ وهو في البُردِ

والقـامـةُ القويـمـه بالخـدِّ كالغصن النَّضيرِ ناضِـر الوردِ

☆☆☆☆

لــــــه مــــنــــه طــــــرفُ

يُـدمـي الـقـلـوب لَـحـظـا

ووجـــنـــــةٌ تَـشِـــفُّ

ولا تُـنـيــل حــظَّــا

يـــــرقُّ إذ يــــرفُّ

قـلـبـي لـهـا لـيـحـظـى

يــريـــك حـــيـن تـصـفـو

جـسـمًـا تـخــال فَـظَّــا

كالراح في الزجاجه تُـزهى بها كفُّ النديمْ عـنـدمـا تُـبـدي

أشـعّـةً عـظـيـمـه تندى إذا شِيمتْ وتُوري جذوةً تهدي

☆☆☆☆

يـــا لـــوعـــةَ الـــغـــرامِ

زيـــــدي ويـــا جُـفُـونـي

بــأدمــعــي الــهَـوامـي

جُـــــودي ولا تـخـونـي

فَـــهُـــتَّـــفُ الحَــمــام

قــد هـيَّـجـتْ شُـجـونـي

وكـــــل مُـــســـتـــهـــام

مُــســتَــأنــف الحــنـيـنِ

لا تنكـر انزعاجه للبرق في الليل البهيمْ مـقـلـةٌ تـهــدي

إلى الحَشا السليمه خفقًا أبانه سميـري لـيـلـة الـصَّـدِّ

☆☆☆☆

دع ذا وقـــل مـديـحـا

فـي أحــمــدَ بــن يـحـيـى

مـــن لـــم يـــزل مُـزيـحـا

أعــــــذار كـــلِّ عُـلـيـا

مــنــتــســبًــا صــريــحــا

آخــــــــــرةً ودنـــيـــا

تـــخـــال مــنـــه يـوحـى

فـي الــدَّســت حُـسـن رؤيـا

إذا رأى ابتهاجه للجود والداعي المُضيمْ ساعةَ الجُهدِ

فالكفُّ منه دِيمه والوجه شمسٌ ذات نورِ في سَما المجد

☆☆☆☆

لـلــسِّــرِّ مــنــه حِــصــنُ

عــلــى الـــــورى مُــطــلٌّ

لــيــســت بـــه تــظــنّ

عـــــــوراءُ تُــســتــدلّ

غــــاراتــــه تُــشــنُّ

عــلــى الــعــدى فـتـبـلـو

أخــبـــارهـــم ويـعــنـو

مــنــهــم لــهـــا الأجَــــلّ

فمن رأى هياجه سـوَّاه باللَّيث الكـليـمْ وهـو في الـسَّـردِ

ونفسه الكريمه في السلم كالغيث المطيرِ ساعــــةَ الـرِّفـد

☆☆☆☆

وغـــــــــادةٍ تـنـثـنـي

أعــطــافُــهــا الـــرِّشـــاقُ

لــكــنــهـــا أرتـــنـــي

أن الـــدِّمـــا تُـــراق

بـــالـــصَّـــدِّ والـتّـجـنِّـي

وبـــعـــدهـــا الـــفِـــراق

قـــالـــت فـــرغـــتَ عــنّـي

والـــصـــحـــبـــة اتّـــفـــاق

فقلت بانحراجه يا ستُّ خلّيني بشُـؤمْ وأنجزي وعدي

قالـت أنـا مُقيمه فاعملْ وهاتِ، قلت زوري فالذهب عندي

****

ليل التجنب

ليلُ التجنُّب من أجفاننا شُهُبُهْ

ومُجدِبُ الدمع ما كانت دمًا سُحُبُهْ

ما للنوى أطلعت في غاربٍ قمرًا

يُـقلُّه البـانُ يـومَ البين لا غَرَبه

تَـنَـظَّـمـت عَـبَـراتـي فـي ترائبه

عِقْدًا كما انتثرت في وجنتي سُحبه

يا من وفى الدمع إذ حان الودادُ له

غدرُ الحبيب وفاءُ الدمع أو سببه

قد كنت أحسب صبري لا يُذَمُّ وقد

مضى وفي ذمّة الأشواق أحتسبه

يا نازحًا سكنَ القلب الخفوق ومن

إحدى العجائب نائي الوصل مقتربه

ما لاح برقٌ ولا ناحت مطوَّقةٌ

ولا تناوحَ من باب الحِمى عذبه

إلا تَساعدَ قلبي والدموعُ وأحـ

ـناءُ الضلوع على شوقٍ علا لهبه

حكيتَ يا برقُ قلبي في الخفوق ولم

يَفُتْكَ إلا لهيب الوجد لا شَنَبُه

من لي بأغيدَ بـدرُ التمّ حين بدا
قـد سـاء إذ رام تشبيهًا بـه أدبـه
ممـنّـعٌ بـالـذي ضَـمَّـت غلائله
من القنا أو بما أصمتْ به هُدُبه
بين الأسنّة محجوبٌ ولو قدروا
ما قـوسُ حاجبه أَغْنتهُمُ حُجبه
سلبَنَني بالضّنى لحمي لواحظُه
وهنّ أُسد الشرى المسلوب لا سَلَبه
لو لم يكن ريقه خمرًا ومرشَفُه
كأسًا لما بات يحكي ثغرَه حَبَبه
كذا «ابن أبيك» لولا ما حواه لما
عن الكتائب أغنت في الورى كُتُبه
ذاد الأولى عن طريق المجد ثم نحا
آثــاره فـقـلـتْ أجـبـالَـهـم كُـتُـبـه
وآبَ يقطف مـن أغصانه ثمرًا
إذا أتـى غَـيـرُه بالشوك يحتطبه
أقـلامُـه فـرحًـا بـالـفـضـل أنملها
كـلٌّ يُخلِّق ثـوب المجد مُختضِبه
تـكـاد ألـسُـنـهـا تمـتـدُّ مـن شغفٍ
إلـى أجـلّ معاني القول تقتضبه
يـراعُـه روّعــت لامــاتُ أحرفها
حـشـاءَ مـنـحـرفٍ لامـاتـه يَـلَـبـه
أضحت مسبّبَةَ الأرزاق حين حكت
سـبّـابـةً لـعـدوٍّ قـد وَهَــى سببه
يا من يُجيل قِداح الميسر ارمِ بها
وارمِ الفجاج ليُسرٍ نُجحُه طلبه
واقصدْ جناب «صلاح الدين» تلقَ فتًى
يـهـزّه حـين يُـتـلـى مـدحُـه طربه
بَنَتْ على عُنق «العيّوق» همّتُه
بيتًا تمُـدُّ على هـام السُّها طُنُبه
قد أتعبت راحتاه الكاتبين ولم
يدركه حين جرى نحو العُلى طربه
فاعجبْ لها راحةً تسقي اليراع ندًى
إذ لم تكن أورقتْ في ظلها قُضُبه
تُناسب الـدرّ من ألفاظها وإلى
بحر النّدى لا إلى بحر الدُنَا نسبه
يرضى ويغضب في حالَيْ ندًى وردًى
وبين هذين منهول الحِمى نشبُه
رِضـاه للطّالبيْ جـدواه ثم على
مـا تحـتـوي يـده مـن مـالـه غضبه

****

تحية خليل

تقلَّبْ فليس النار عارًا على التِّبْرِ
وليس ثِقَافُ السّمهريِّ به يُزري
وما السيفُ مسلولاً بشيءٍ، وإنه
لفي الغمد أحرى أن يُضمَّ إلى الصدر
وما زال ليث الغاب يألفُ غِيله
ويأنف تَـرْداد السفاهة من كِبْر
وفي الحَجَر الصَّلد الشّرار، فإن جرى
على صفحه زندٌ، أثار لظى الجمر
لقد صانتِ الأيام حَدَّك أن يُرى
حمائلُه تُزهى على عاتق الـدرّ
وإن جعلتكَ الحادثاتُ رهينة الـ
إقامةِ في بيتٍ مُنيفٍ ذُرا الجُدر
فليس بمخفيٍّ سنا الشمس إن بَدَت
ولا القمر المرئيّ في غُــرَّة الشهر
يمينًا، لقد ساءت معاملة العُلا
لديك، وقد سارت على منهج الغدر
أيمـنـع مـا أبْــرزتَــهُ مـن بـلاغـةٍ
تُضيء بها أُفـقَ الدفاتر والشعر